جامعة بجاية

كلية الأدب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

الأنــا و الآخــر فــي شعــر الفخــــر
لدى عنترة بن شداد

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

بن عدة إيمان

بولوفة أمال

إشراف الأستاذ:

ثابتي فريد

لجنة المناقشة:

د. عمي لحبيب أستاذ محاضر قسم أ جامعة بجاية .... رئيسا

د. ثابتي فريد أستاذ محاضر قسم أ جامعة بجاية ....مشرفا

د. شيبان سعيد أستاذ محاضر قسم أ جامعة بجاية ....ممتحنا

نوقشت في : 2019/07/08

السنة الجامعية: 2018 / 2019 .

الشكر

خيرما نستهل به شكرنا لخالقنا الله عزَّ جل الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة نحمده كثيرا طيبا ونشكر رسوله الكريم ومبلغ الرسالة محمد صلى الله عليه وسلم

كما نتوجه بجزيل الشكر للوالدين الكريمين على دعمهما ومساندتهما لنا وبكل الاحترام والتقدير يسرنا أن نلخص كلمات الشكر والعرفان للأستاذ الفاضل ثابتي فريد الذي كان مشرفا موجها وعونا لنا...ونسأل اللهأن يرعى خطاه ويبارك مسعاه بالأجر

والثواب.

وأخير نختم شكرنا بعرفاننا بجميل كل أساتذتنا الكرام ونوجه لهم خالص شكرنا والاحترام.

الإهداء

الحمد لله الذي خلق العقل لنا والعلم
واجب علينا ونورا نستضيء به ظلام الجهل

اللهم إنيأعوذ بك من علم لا ينفع وعين لا تدمع ومن قلب لا يخشع

ومن نفس لاتشبع ومن دعاء لا يستجاب

وبعد:

اهدي ثمرة عملي هذا إلى من حملتني وهنا على وهن تسعة أشهر والتي سهرت الليالي

لتربيتي أمي العزيزة الغالية...

إلى من ضحى وتعب من وحثني على طلب العلم أبي الغالي

إلى رفيق عمري سليم و إخوتي أشرف و إسلام وأختاي كنزة و هدى

وإلى كل من كان بجانبي من أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا

كما اهدي هذا العمل إلىكل صديقاتي

والى كل من أعرفه من قريب وبعيد

إيمان

الإهداء

الحمد لله الذي خلق العقل لنا والعلم
واجب علينا ونورا نستضيء به ظلام الجهل

اللهم إنيأعوذ بك من علم لا ينفع وعين لا تدمع ومن قلب لا يخشع

ومن نفس لاتشبع ومن دعاء لا يستجاب

وبعد:

إلىكل أفراد عائلتي الذين أتوسم فيهم رموز الحب والدعم والتشجيع

إلىأمي التي حملتني تسعة أشهر وسهرت الليالي لتربيتي

إلىأبيالذي ضحى وتعب من اجلي وحثني على طلب العلم

إلى إخوتي عماد و وسيموفقهم الله

والى كل أفراد عائلتي كبيرا وصغير

اهدي ثمرة جهدي لهم اعترافا بالجميل

أمال

مقدمة

مقدمة:

إنّ الشعر من أهمّ مقومات الشخصية العربية بوصفه ديوان العرب وسجل حياتهم، والشاعر في ذلك هو صاحب الرأي والتعبير العام باعتباره لسان القبيلة الذي يمثل الحماية لأعراض الناس والمدافع عن أحسابهم والمفاخر بمآثرهم والممجّد لذكرياتهم، ولشعره في هذا وظيفتان فرديّة يعبر بها عن نفسه "الأنا" وجماعية يعبر بها عن "الآخر".

انطلاقا من هذا، تعدّ قضيّة "الأنا" و"الآخر" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، من أهم المواضيع التي تطرّقت إليها النّصوص الشعرية العربية، حيث اتخذت من الفخر غرضا فنيا هاما، تعبر به عن الحالة النفسية التي يعيشها هذا الشاعر،وسط قومه وأبناء قبيلته.

وبالنظر إلى المكانة التي يحتلها هذا الغرض في النصوص الشعرية، جاءت فكرتنا للحديث عن "الأنا" و "الآخر" في فخريات عنترة بن شداد،وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأنّ أسوء الشعراء حظا، وأوضعهم منزلة اجتماعية بين عشائرهم،هم أولئك الذّين سرى السَّواد إليهم من أمهاتهم، وكانوا يعيَّرون بهذا اللّون، وأبرز من يمثّل هؤلاء عنترة بن شداد العبسي، الذي اهتم بالسّواد اهتماما واسعا، وأفرد له حيزا كبيرا في شعره، وكان سبّاقا لمن قبله من الشعراء في ذلك، حتى أن قومه كانوا يشيدون به وبشعره.

وانطلاقا من هذا،لاحظنا أنَّ غرض الفخر في شعر عنترة بن شداد قد أخذ اتجاهين، أولهما: اتجاه فردي افتخر فيه الشاعر بنفسه مستقلا بمكارم الأخلاق لذاته دون سواه، وهذا

الاتجاه يسير في عدة محاور، تصب كلّها في اعتزاز الشاعر بنفسه، وبما يمتلكه من مواهب وصفات، وثانيهما: اتجاه جماعي،افتخر فيه بالآخر: قومه وفرسان قبيلته.وبما أنَّ موضوع "الأنا" و"الآخر" هو الموضوع الذي احتل الساحة الأدبية مؤخرا، فإنَّنا أردنا الوقوف على أبواب هذا الموضوع، وخصّصناه لشعر الفخر لدى عنترة بن شداد، وعلى هذا الأساس طرحنا الإشكاليّة التاليّة:

1 – كيف جسّد عنترة بن شداد ثنائية "**الأنا**"و"**الآخر**" في فخرياته؟

2 – كيف استحضر "**الآخر**" في شعره؟

3 – وفيمَ تمظهرت"**الأنا**" في فخرياته؟

وللإجابة على هذه الإشكاليات، فقد كان المنهج الوصفي التّحليليّ وآلياته هو المنهج الذي فرض نفسه.

وقد قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة، كما يلي:

الفصل الأول:وعنوانه: (تجلّيات الأنا والآخر في الشعر العربي) وقد قسمناه إلى مبحثين، ينقسم كلّ مبحث فيه إلى عناصر؛ فقد وضحنا في البداية المفهوم اللّغوي والاصطلاحي لـ"الأنا"، وتفرعاته في مختلف الفروع الإنسانية؛ في علم النفس والفلسفة والاجتماع والقرآن، وكذلك كان نصيب "الآخر" من هذا التّعريف، ثم تطرقنا لتوضيح العلاقة بينهما، أمّا في المبحث الثاني فقد عرفنا أولا، ماهية الفخر وتطوراته في العصر الجاهلي

والإسلامي، لنستخلص بروز ظاهرتين أساسيتين في هذا الغرض، وهي الفخر الذاتي، والفخر الجماعي.

أمّا الفصل الثاني، فيحمل عنوان (صور الأنا والآخر في فخريات عنترة بن شداد)، وقد تطرقنا في المبحث الأول إلى دراسة علاقة فخرياته بـ"الأنا"، وتعظيمها من خلال افتخاره بلونه وشجاعته وأخلاقه الكريمة، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لظاهرة تمظهر الآخر في فخرياته من خلال أشعاره التي قالها في الافتخار بقبيلته، ونسبه من أخواله، وسلاحه الذي عدّه هو الأهل في الحرب.

ووصلنا في النهاية إلى خاتمة، جمعت أهمّ النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا.

وفي الأخير نقف وقفة المعترف بفضل الأستاذ الكريم "ثابتي فريد"، الذي أشرف على هذا البحث حتى نهايته، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدنا من قريب ومن بعيد، ووقف معنا، فإليكم أسمى آيات الامتنان والتقدير.

الفصل الأول

الفصل الأول : تجليات الأنا والآخر في الشعر العربي

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر

تعدُّ إشكالية "الأنا" و"الآخر" من أهمِّ الإشكاليات التي فرضت نفسها على الساحة الثقافية واستحوذت على اهتمام الكثير من الفلاسفة والباحثين وعلماء النَّفس والاجتماع والأدباء خاصة قديما وحديثا، مشكلةً بذلك ظاهرة نابعة من المجتمع نفسه تعبّر عن كلّ حالاته، حيث تضرب بجذورها الأولى إلى التفكير الإنساني القديم من خلال مجموعة من المفاهيم التي أنتجها وعبّر عنها الباحثين في مقولتهم المشهورة "الإنسان كائن اجتماعي بطبعه" وانطلاقا من هذا نفهم أنَّ الإنسان بحاجة ماسة إلى الجماعة لأنَّ الطبيعة الإنسانية تفرض عليه دائما التعامل مع الغير، وبصياغة أخرى "الأنا" بحاجة دائمة لوجود الآخر بجانبها والاستئناس به والاجتماع والتآلف معه.

وإذا حاولنا تتبع المفهوم العام لمصطلح "الأنا" و"الآخر" سنجد بأنَّ العرب فيما بينهم اختلفوا في تعريفات هذين المصطلحين بمعاني متفاوتة وذلك بحسب دواعي الاستخدام الذي يتطلبه كلٌّ واحد منهما، فحين أخذت تحديد العلاقة بينهما اهتماما بالغًا فمنهم من ذهب إلى أنَّ مشاركة الأنا للآخر أو الغير أمرا ضروريا ومنهم من أكدَّ على وجوب تشكّل الأنا بمعزل عن الآخر، وأمام هذا التّباين والاختلاف في الطرح فإنَّنا سنحاول تحديد مفهوم كل واحد منهما.

أولا: مفهوم الأنا

لقد شكل حضور"الأنا" لدى العرب ظاهرةً أدبية شغلت بال الكثير من النقاد والدارسين، باعتبارها ظاهرة أدبية لا تختصُّ بعصر دون سواه وبغض النظر عن توظيف هذه "الأنا" في الشعر العربي أو الفكر النقدي في وقتنا الحالي أو قبله يضلُّ لهذا التَّوظيف دلالات تكاد تكون متشابهة حتى وإن لم تكن واحدة.

1-المفهوم اللغوي "للأنا":

ورد في لسان العرب: «أنَّ كلمة "**أنا**" اسم مكنًّى وهو للمتكلم وحده وإنَّما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين"**أن**" التي هي حرف نصب للفعل، والألف الأخيرة إنَّما هي لبيان الحركة في الوقف.»[1]

نفس التعريف جاء به جميل صليبا في قوله:«أنا ضمير المتكلِّم، والألف الأخيرة فيه إنَّما هي لبيان الحركة في الوقف.»[2]

كما جاء في معجم الوسيط بمعنى: «ضمير رفع منفصل للمتكلِّم أو المتكلمة.»[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص37.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ب ط،1982، ص 135.

[3] إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، تركيا،ص28.

والملاحظ في كل هذا أنَّ الأنا هي وصف للشّخص بنوعية المذكَّر والمؤنث تخصُّ المتكلّم وحده وتعكس شخصية الفرد وتصور أفعاله.

ومن خلال ما تقدَّم لنا سابقا عرَّف جبور عبد النور "الأنا :Eger, moi , sujet "

«بأنّها شعور بالوجود الذّاتي المستمر والمتطور بالاتصال مع العالم الخارجي والاختيارات و التثقف، ثم التأمّل والاستبطان، باعتبار أنَّ هذا الأنا هو مركز البواعث والأعمال التي تؤقلم الإنسان في محيطه و تحقق رغباته و تحل كلّ النِّزاعات المتولدة عن تعارض رغباته.»[1]

كما أنَّ مفهوم الأنا في اللّغة يرتبط بالمستوى النَحوي لمنظومة الضَّمائر وبكلّ ما هو ذاتي غير منفرد مستقل بذاته عن الغير، أو بصيغة أخرى هو« تجلي الذَّات واكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية في الفنان، وبروزها بوضوح وبتعبير متميز من خلال الآثار التي يبتدعها، فحين أنَّ هذا الأمر لا يتحقق إلَّا بالغوص في الأعماق واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية وعرضها فنيًا.»[2]

ومنه فإنَّ الأنا حتى وإن كانت بوصفها كلمة يكنَّي بها عن ذات المتكلّم إلَّا أنَّها في الوقت نفسه تجاوزت معناها اللفظي عند المبدعين إلى معاني عدَّة جسّدت تصاعد الإنسان وانشغاله برؤيته الفكرية في كل أبعادها، وإذا حاولنا التوسع في هذه الرؤية لابدَّ لنا أن ندخل

---

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط1،ص36.

[2] المرجع نفسه ص116.

فيها كلّ الصيغ التي تجسد هذه الذات لذلك فإنَّ" الأنا" و" الهو" و" النحن" كلّها ضمائر في أصلها أدوات نحوية منّظمة لتوجيه الخطاب بكلّ أنواعه في دلائل تركيبية ليست غريبة الصياغة، وعلى هذا الأساس فإنَّ أيّ اختيار لضميرها إنَّما هو اختيار لتأكيد موقف ما، ولغة الضّمائر في هذا الصَّدد ما هي إلَّا محاولة لرسم ذات الفرد وتحقيق ما يخالجها من شعور وما يؤكد على ذلك هو " أنَّ لفظة " **أنا** " في اللغة العربية اسم للمتكلم وحده لا تثنيه أي لفظة، أما "**إنِّي**" فتثنيه" **إنَّا**" وتشير **نحن** في ذلك إلى **أنا جمعي**، لكنَّ "**الأنا**" تصحُّ في التثنية و الجمع معا.[1]

2-المفهوم الاصطلاحي للأنا:

من الصعب صياغة مفهوم اصطلاحي واحد لمصطلح "الأنا" وذلك انطلاقا من كون العديد من العلوم والفروع الإنسانية تتداخل وتتصارع في تحديد مفهومه، لأنّه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانية: الفلسفة،علم الاجتماع علم النفس،علوم العربية، علوم القرآن و غيرها من العلوم، ومنطلقا من هذا فإنَّ الاختلاف المتباين في تحديد مفهوم هذا المصطلح ظاهر جليا بالرغم من أحاديته إلَّا أنَّ كلَّ علم من هذه العلوم يراه وفق منظوره الخاص وسنحاول في هذا تحديد منظور هذه العلوم حوله.

---

[1] ينظر، سيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني، تحرير منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، دار الفكر، دمشق،1958م، ص133.

2-1-الأنا من المنظور النفسي:

ركز علماء النفس في البداية على الجانب الشعوري من الشخصية كونه الجانب الأساسي لفهم سلوك الإنسان، لكن بعد العجز عن تفسير الكثير من السلوكات المستعصية التي لم يستطع ترجمتها، ظهرت مدرسة التحليل النفسي مع "**سيجمند فرويد**" الذّي يرى بأنَّ السلوك له دافع داخلي من قوى لا شعورية تكونت عبر تاريخ الشَّخص وخاصة من خلال علاقته بالعالم الخارجي."[1] وهو في هذا يرى بأنَّ كل ما ينتج من سلوك من قبل الشخص ما هو إلا فعل ناتج عن الجهاز النفسي المكون من ثلاثة أقسام وهي:

"**الهو**": وهو ذلك القسم من الجهاز النفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية اللاشعورية والتي تحمل بداخلها كل ما هو موروث وموجود في الإنسان منذ الولادة.

"**الأنا** ": وهو ذلك القسم من الجهاز النَّفسي الذي يحوي جميع العمليات النفسية الشعورية والتي تشرف على الحركة الإرادية والتي تقوم بحفظ الذات والتغلب فيها على الرغبات المكبوتة وتمثل في ذلك مبدأ الحكمة وسلامة العقل.

[1] سيجمند فرويد، الأنا والهوا، إشراف: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4 ،1402ه،1098م،ص14و15.

"**الأنا الأعلى**": أو ما يعرف بالضمير أو الأنا المثالي وهو ذلك الأثر السامي الذي يبقى في النفس منذ فترة الطفولة، يمثل فيها كل ما هو متعالي وسامي في الطبيعة الإنسانية من قيم أخلاقية ودينية. [1]

ويتضح لنا من خلال هذا التقسيم أنَّ فرويد حاول أن يصور لنا فكرة أنَّ "الهُو" هو الجزء الأخير من العقل الذي يمتدُّ إليه الشعور والإحساس العام للفرد.

من هنا يمكننا اعتبار "**الأنا**" بمثابة الضابط الخلقي للفرد، أو ضابط الغرائز لكلِّ الميول والرغبات والدَّوافع التي تنطلق من "**الهو**" وتمرّ عبر"**الأنا**"، فهذا الأخير يكبح هذه الرَّغبات الغريزية ويكبت ما يرى هناك من ضرورة لكبته "فالأنا تمثل الحكم وسلامة العقل"[2]، كما تُعتبر محور التوازن بين "الهو" و"الأنا العليا" فلا هي في ذلك مثالية ولا هي شهوانية بل هي الاتزان الكامل في حد ذاته.

2-2-الأنا من المنظور الفلسفي:

بالرَّغم من اختلاف المفهوم الفلسفي لمفهوم"الأنا" وتوجهاته الفكرية إلَّا أنَّ القاسم المشترك الذي يجمع كلَّ هذا الشتات هو"**الذات**" في مفهومها الجوهري لتحديد مكان الإنسان من الوجود بأيِّ شكلٍ من الأشكال، وذلك انطلاقا من« كونها طبيعة خاصة وضرورية تجعل من

[1] المرجع نفسه ص16.

[2] ينظر: سيجموند فرويد، الأنا والهوا، ص16-17.

الشيء هو نفسه أو مجموعة الخصائص المكونة له، ترد إلى أفعال الشعور جميعا وجدانية كانت أم عقلية أم إرادية أم عاطفية.»[1]

وهذا حسب رأي "**سبينوزا**" الذي يرى بأنَّها المبدأ الأول الداخلي في كلّ ما يرتبط بإمكانية وجود الشيء، أمَّا في رأي الفلسفة الحديثة ومن خلال تفكير **ديكارت** فهو ينكر فكرة أنَّ هذه الذات تعارض الظاهرة التي تصور لنا الشيء فحين يؤكد أنَّ "الأنا" هي إحساس الفرد بأنَّه موجود في هذا الكون، ويعبر عن ذلك بقوله المعروف" أنا أفكر إذا أنا موجود" فهو بهذا يصنع من ذاته رغبة ضدَّ الكل تمثل مجموع التحديات الفردية التي يتعالى بها الفرد على الآخر ويؤكد في ذلك أنَّ الوجود يسبق الذات والهوية أو الشخصية وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية ونفسية وإيديولوجية وما تشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوترات.[2]

إضافة إلى هذا حمل مصطلح الأنا في الفلسفة الحديثة عدَّة معان تتمثل فيما يأتي:

المعنى النفسي الأخلاقي: تشير كلمة "أنا" في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي، فهي إذن تنطلق من موجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية، وليست "الأنا" في ذلك سوى جملة من الأحاسيس التي ينسبها الفرد إلى نفسه.

---

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي ص116.

[2] نفس المرجع ص 116

المعنى الوجودي : تدلُّ كلمة "أنا" على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأغراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواءً كانت هذه الأغراض موجودة معًا أو متعاقبة فهو إذن مفارق للأحاسيس والعواطف والأفكار، لا يتبدل بتبديلها، ولا يتغير بتغييرها، فالأنا إذن جوهر قائم بنفسه وهو صورة لا موضوع.

المعنى المنطقي: تدل كلمة "أنا"على"المدرك من حيث أن وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنهما التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصويت في الذهن و"الأنا" بهذا المعنى هو المتعالي وهو الحقيقة الثابتة التي تعدُّ أساسًا للأحوال والمتغيرات النفسية." [1]

نستنتج مما سبق أنَّ "الأنا" هو الجوهر الثابت الغير متغير الذي تنسب له جميع الأقوال الشعورية والأحاسيس والعواطف والأفكار فهو حقيقة ثابتة قائمة بذاتها.

وما ننهي الحديث به أنّ مصطلح "الأنا" من المنظور الفلسفي ما هو إلّا ذات عارفة بنفسها ومتفاعلة مع غيرها، أو بصيغة أخرى "الأنا" هو شعور يبرز الذَّات بشكل طاغٍ من خلال اكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية في الفنان والأديب، وبروزها بوضوح في تعبير متميز دقيق لا يتحقق إلّا عن طريق الغوص في أعماقه و اكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية.[2]

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، بيروت، لبنان، 1982، ص 140.

[2] ينظر جبور عبد النور، المعجم الأدبي ص 116.

2-3-الأنا من المنظور الاجتماعي:

مثلما تناول رواد الفلسفة وعلماء النفس مفهوم الأنا وتوجهاته الفكرية كذلك كان لعلماء الاجتماع نصيب من ذلك، وهذا انطلاقا من كون هذا الأخير النَّواة الأساسية التي تشكل شبح البناء الاجتماعي في كل ما يحويه من مكونات وما يحدث بينها من علاقات وتناقضات، ويرى الدكتور علي مصطفى عشَّا «بأنّه ثمة علاقة قوية تجمع بين الأدب والمجتمع أبعد غورا من أن يكون الأدب يهدف فيها إلى خلق علاقة مغايرة كيفيًا للعلاقات المألوفة بين الإنسان والعالم، وهذا لا يتأتَّى دون علاقة عميقة مرهفة ومعقّدة، ومن هنا فالأدب يتجلى في سياق اجتماعي، كجزء من ثقافة في بيئته، ويجسم رؤى"الأنا" لتطلعات الجماعة التي تنتمي إليها من جهة، وأشواقها الخاصة، ورغبتها في بلوغ رؤية مبدعة للعالم على مستو الفكر، وحيازته جماليا من جهة أخرى.» ومنه فإنَّ هذه الأنا في علم الاجتماع ترتبط أساسًا بالهوية الفردية وخصائصها المعرفية ومكوناتها الفكرية والاجتماعية من قيم وتقاليد موروثة أو مكتسبة من خلال علاقة الفرد بمجتمعه.[1]

ويتضَّح لنا من خلال هذا القول أنَّ الأنا من المنظور الاجتماعي تأخذ طريقًا مغايرًا عن مفهومها الفلسفي والنَّفسي حيث يرتبط مفهومها في هذا المجال بتصور الذَّات الشخصية

[1] علي مصطفى العشّا، جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء(3)،المجلد 82،ص520.

خاصة وما يحيط بها من مؤثرات تؤثر فيها وتتأثر بها، دون نسيان مكوناتها الفكرية والاجتماعية سواءً كانت موروثة أو مكتسبة من قبل الذات الجمعية.

كما أنَّها عند المحدثين عبارة عن تعبير للذات الواعية، وشعور بالوجود الذاتي المستمر، وهي مركز ارتباط الإنسان بمجتمعه وتحقيق رغباته، وقد يستخدم المصطلح ليشير إلى تلك السمة أو ذلك المكون الرئيسي من مكونات الشخصية الذي يسيطر على السلوك، وبعبارة أخرى هي غرور يعتري الإنسان والأديب والفنان، وحب للنفس يطغى عليه في دائرة نشاطه إعجابا لما يقوم به من أعمال.[1]

2-4-الأنا من المنظور القرآني:

تكاد إشكالية "الأنا" أن تكون حاضرة بشكل مباشر أو ضمني في كل الدراسات المتعلقة بالتفاعلات الإنسانية بمستوياتها وأشكالها كافة في كل زمان ومكان، وتتشابك هذه الإشكالية في القرآن الكريم بمفهوم الذات بوجه عام، ومع ما يدور فيها بوجه خاص.

ويمكن رصد بنية هذا المصطلح في القرآن الكريم في وروده بصيغة المفرد (أنا، إنِّي ،إنَّنِي) أو بصيغة الجمع (إنَّا، أنَّا، نحن) بكثافة بالغة في مواقع مختلفة جاءت للدلالة على الذات

[1] محمد التنوجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2،1419هـ،1999م،ص133.

الإلهية المطلقة وتحديد الخطوط العريضة لطبيعة العلاقة بنيه سبحانه وتعالى وبين الكون بكل ما فيه مرَّة وتحديد رسالة الرسل بالتوحيد ونشر الإسلام مرَّة أخرى.[1]

حيث قال عزَّ وجل في الآية الكريمة: ﴿إلَّا الّذين تابُوا وأصلحوا وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التَّوابُ الرَّحيم﴾ الآية 160 من سورة البقرة.

والواضح في هذه الآية أنَّ الله تعالى أفرد بنفسه القدرة على التّوبة لمن يشاء وحده وهذا دليل قاطع على ذاتيته المطلقة.

ومجمل القول في هذا المصطلح أنَّه جاء في القرآن الكريم بصيغ مختلفة للتأكيد على ذات الله تعالى وقدرته بصفة خاصة، وتعظيم شأنه ونشر دينه الإسلامي بصفة عامة.

ثانيا: مفهوم الآخر

إنَّ لفظ" **الآخر**" مصطلح قديم قدم وعي الإنسان يتميز باختلافه عن غيره، سجَّل حضورا قويًا في مجمل الأجناس الأدبية وطرأ عليه في ذلك العديد من التغيرات إذ انتقل من كونه لفظة إلى مصطلح في العلوم الإنسانية تتعدد معانيه ودلالاته، حيث أصبح في ذلك متداخلا في مفهومه مع" الذَّات" التي لا تحقق و جودها إلَّا بوجود "الآخر" فإذا تعمقنا في توضيح دلالاته لابد لنا أن نتطرق إلى تحديد مفاهيمه أولا.

[1] ينظر السيد عمر،الأنا والآخر من منظور قرآني، ص133.

1-المفهوم اللغوي للآخر:

دار تعريف هذا المصطلح في المعاجم العربية كالتالي:

عند ابن منظور:«الآخر بالفتح: أحد الشيئين، وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى والآخر بمعنى الغير كقولك: رجل آخر، وثوب آخر، وآخر جماعة أخرى ومعنى آخر الشيء غير الأول.»[1]

وقوله تعالى:﴿فآخرون يقومان مقامهما﴾،وقول الفراء: معناه آخران من غير دينكم من النصارى واليهود.

كما ورد تعريفه في معجم المقاييس كالتالي:«"آخر" الهمزة والخاء والراء أصل واحد إليه ترجع فروعه، وهو خلاف التّقدم وهذا اقتباس أخذناه عن الخليل فإنّه قال: الآخر نقيض للمتقدّم والأخر نقيض القدم، وقال الخليل : فعل الله بالآخر أي بالأبعد، ويقول : الأخر تال للأول فهو قريب مما يعني ذكره، إلّا أنّ قول ابن دريد: أشدُّ ملائمة وأحسن مطابقة وآخر جماعة أي أخرى.»[2]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ص12.

[2] أبي حسن أحمد ابن فارس، بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ،ج1،ص70.

وابتداء من مفهوم الغيرية جاء تعريف "الآخر" «بأنَّه المغاير للشّيء، ويُراد به ما سوى الشيء ممَّا هو مختلف أو متميز عنه.»[1]

والملاحظ من خلال هذه التَّعريفات أنَّ الآخر هو المختلف والمُستثني أو المتميز والمعارض للذات، كما أنَّه لا يمكن لنا التَّميز في كثير من الأحيان بينه وبين مصطلح الغير لأنَّ كلاهما يوصف به للدلالة على الغيرية والاختلاف.

2- المفهوم الاصطلاحي للآخر:

تعدُّ مفردة "الآخر" من أهمّ المفردات الرائجة كمصطلح وكمفهوم في العديد من الكتابات العربية والإسلامية وغيرها من قبيل "الأنا" و"الأخر" و"ثقافة قبول "الآخر" و"النظرة إلى الآخر"و"الآخر في ثقافتنا" ،وغيرها من العناوين التي تجعل "الآخر" يقف في مقابل الأنا. ومعلوم أنَّ هذا "الآخر" له تمثيلات وتجليات تُمتْتَاحُ من حقول معرفية ومتنوعة وعلائق إنسانية متداخلة، لذا فهو ينظر إليه أو يفسر وضعه في إطار تقابلات متباينة، دينية، اجتماعية، جنسية، مذهبية، عرقية، وغيرها من التقابلات التي يمكن أن تفرزها العلاقات الإنسانية."[2]

---

[1] مراد و هبة، المعجم الفلسفي، الناشر: دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م، ص45.

[2] ينظر محمد إيكج، الاعتراف بالآخر الديني و مستلزماته الأخلاقية و الحوارية، شبكة ضياء للمؤتمرات و الدراسات، ص2.

ومنطلقا من هذا يرى الطاهر لبيب أنّه قد يكون لكلّ آخر تعريف خاص يوليه إليه من كان له به شأن، أمَّا هو فيقول: «جلّ ما عايشته أو قرأته فهو "آخر" ذو معالم كثيفة، حادة، عدوانية، يتحوّل فيها غالبا إلى مادة لقضية يَستغني العد يدون عن حياتهم أو موتهم من أجلها: لاتقاء شرّه، أو لتهدئة سطوته، أو للتصدي له....بل أحيانا لإفنائه، ولكن بقليل من المدارة والابتعاد عن مناطق الاصطدام هذه تلاقي هذا "الآخر" نفسه و قد اعترته مفارقتان عظيمتان: واحدة تكمن في نسبية ماهيته المتعارضة تماما مع زعمه الكوني، و الأخرى تقوم على أنَّه بمجرد حصول الوعي بكينونة الآخر ترسو قلة الإلمام به.»[1]

وهو بهذا لا يحتمل دلالة واحدة في كلّ مرَّة بل تتبدّل هذه الدلالة عند كلّ واقعة معينة تاريخية كانت أم سياسية أم اجتماعية نفسية فإنَّها تتغير تبعا للحياة التي يتطرق فيها لدراسة هذا "الآخر". وهكذا يقدَم هذا المصطلح نفسه كلّ مرة في كينونة مختلفة تبعًا للزَّاوية التي وضع فيها صاحب الدَّعوة لكنَّ نسبية هذا الأخير لا تقتصر على التَّفاوت في المستويات وإنَّما تتوغل في اختلاف المدلولات والمضامين.« ولتحديد مفهوم شامل لهذا المصطلح فإنَّ أسهل طريقة لتعريفه هي القول بأنَّ "الآخر" مختلف بشكل أساسي عن "نحن". وبالنسبة إلى "**أرسطو**" فإنَّ "الأخر" المستبعد هو الغريب الذي لم يتمكن من استخدام وفهم اللغة المشتركة. وأما "**ميشال فوكو**" فهو يذهب إلى إدراك "الآخر" باعتبار أنّه شخص غير طبيعي ومجنون

[1] الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا إليه ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية لعلم الاجتماع، بيروت، 1999م، ص99.

ومعوق. وبينما ذهب "**جيمس أهو**" مطبقا منهجا فينوميلوجيا إلى أنَّ دنيا الحياة تمارس كالتحام أشياء ذات خصائص محددة، وهنالك بين هذه الأشياء وقبل كل شيء "أنا" وما هو "ليس أنا" يتكون من أشياء طبيعية وأشخاص يدعون "أنت" وإنَّ "أنا" و"أنت" في هذا يشكلان "نحن" بينما يتشكل "هم" من حاصل "أنت الغريب" وهكذا فإن الواضح من هذا أنَّ "الآخر" هو تعبير عام يغطي الحالات التي يعترف فيها بالاختلافات اللغوية والثقافية التي تشكل الأساس لهوية "نحن" و"الأنا".»[1]

«و"الآخر" في هذا هو الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتقويضها في الآن نفسه، يتداخل ويتمرأى في سلسلة غير منتهية تبدأ من أدقّ الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات، وعبر زمن شديد الضآلة، ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان، فالفرد يمكن أن يكون آخرا حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض.»[2]

2-1- الآخر من المنظور النَّفسي:

لمصطلح "الآخر" في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة مفهومات وتعريفات عدَّة تنطلق كلُّها من مبدأ "الغيرية" أو "المغايرة" لتتسع به إلى جهات أبعد، فمفهومه مثلا في علم النّفس،

---

[1] ينظر الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص54.

[2] صلاح صالح، سرد الأنا والآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1،ص10.

يشير إلى مجموعة من السمات والسُّلوكات الاجتماعية والنَّفسية والفكرية التي تنسبها الذات فردًا أو جماعة إلى آخرين، لتبين أنَّهم غيرها أو أنَّهم لا ينتمون إليها عرفا أو طبعا.

ومنطلقا من هذا فإنَّ «لفظ "الآخر" أو "الغير" في علم النفس مقابل للفظ "الأنا" وكلُّ ما كان موجودا خارج الذات المدركة أو مستقلا عنها، ونحن بهذا نطلق على الشيء الموجود خارج "الأنا" اسم اللاأنا أو الآخر أو الغيرية.»[1]

« والغيرية عند المحدثين مشتقة من الغير وهو خلاف الشيء، ويقابلها الهوية والعينية، وهي كون المفهوم من الشيء عين المفهوم الآخر، كما أنَّها الإيثار والمقابلة للأنانية، وتطلق في علم النفس عل الميل الطبيعي إلى الغير، وفي علم الأخلاق على القول بوجود تضحية المرء بمصالحه الخاصة في سبيل الآخرين، وقال ابن سنا في هذا: (إنَّ الأشياء المختلفة الأنفس تصير بها مختلفة الأنواع ويكون تغايرها بالنَّوع لا بالأشخاص) وقال أيضا:(إنَّ المغايرة بين الأشياء مشتركة في حدٍ واحد إمَّا لاختلاف المواد وإمَّا لاختلاف ما بين الكلِّي والجزئي).»[2]

وهو في هذا يحدد معنى "الآخر" وعلاقته بتحليل نفسية الأشخاص ودراسة الأنواع المتداخلة في تحديد علاقاتهم العامة والخاصة المختلفة الطبع.

وبدليل أوسع فإنَّ الاختلاف آلية من آليات معرفة النَّفس، التي تنعكس في صورة "الآخر".

---

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص131.

[2] المرجع نفسه ص130.

«ومن المسلّم به سوسيولوجيا أنَّ سلوك الناس وقيامهم ليست معطيات مجردة، إذ هي تتحدد بالوجود الاجتماعي النوعي للبشر، والذي يتحدد بمتغيرات كثيرة، من أهمها أوضاعهم الطبقية، متضمنة مهنهم، وإذا كان هذا هو الطَّبيعي في الدراسات التقليدية حول الوعي ومشتملاته، فإنَّ هذا الوجود في حالة رؤية الآخر، وبخاصة الآخر النوعي، يدخل في تفاعلات جدلية مع وجود الآخر، فيؤثر كل منهما في إعادة إنتاج "الأنا" "للآخر" النوعي.»[1]

2- 2-الآخر من المنظور الفلسفي:

إنَّ "الآخر" هو الوجه المغاير للذات، والملازم لها في كلّ حالات وجوده، مرتبط بوجودها لكنَّه يشير إلى المغايرة فيها. ومما لا شكّ فيه أنَّ جميع المنظومات المعرفية والفلسفات التأويلية، قد أشارت وبشكل كبير إلى أهمية هذا "الآخر"، وضرورة تواجده في عملية الأنسنة، فهو ضرورة حتمية للتعايش والمثاقفة، ومهما تعدّدت الأصوات والرؤى فيه، إلَّا أنَّ هذا "الآخر" سيبقى قطبا مركزيا في عملية التواصل، سواءً كانت ثقافة أو حاجة أو مرآة أو نقدا أو صديقا أو عدوا أو هامشا أو مركزا، إنَّه الذات عينها كآخر وبتعبير" **بول ريكور**" :«الآخر مصطلح ومفهوم تتجاذبه الديانات والفلسفات والمقاربات البينية، لتحمله دلالات الوجود والضرورة الحتمية، ومهما اختلفت الرؤى والمقاربات والتأويلات في تشكيله وتخيله

(1) الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا منظور إليه، ص367.

وصناعته أو تهميشه يبقى الوعي به ضرورة حتمية لصياغة وجوده وصراعها من أجل البقاء.»[1]

وبمفهوم أوسع فإنَّ بول ريكور هنا يساعدنا على تنمية روح النقاش، حول أنماط "الآخر" بأنَّه مفهوم واسع، يأتي بمعنى صفة كلّ ما هو "أنا"، وفكرة الغيرية، التي هي نقيضة "للذّات" أو "الأنا".

2 -3- الآخر من المنظور الاجتماعي:

تشير نظريات علم الاجتماع والمعرفة، إلى أنَّ بروز مصطلح "الآخر" مقترن بمفهوم "الأنا"، وأنَّ ظهوره في ذلك لا يتم بمحض الصّدفة، بل يكون نتيجة تفاعله مع مجموعة من العوامل الثقافية والسياسية وغيرها.

ومنه إذا أردنا التكلم عن هذا "الآخر" اجتماعيا، لابدّ لنا أن نتطرق إلى دراسة العلاقات القائمة بين الجماعات الإنسانية، لأنّ هذا "الآخر" لا يكون إلَّا بوجود الاختلاف والغيرية بين هذه الجماعات، ومحاولة تمييزها عن بعضها البعض، وتبيين حياة كل واحدة منها.«ذلك لأنَّ طبيعة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد، ليست بالعملية البسيطة، فهي على درجة عالية من التعقيد، لكثرة المتغيرات التي تؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي بخصائص الأفراد المعنيين

[1] ينظر مكي سعد الله، الآخر جدلية المرجعية والخصوصية الثقافية، بحث عام قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية، ص4 و5.

بالأمر، وتعلقهم بالبيئة المحيطة، ولعلّ من بين هذه المتغيرات المهمة ما يتعلق بالصور التي ترسمها أطراف عملية التفاعل الاجتماعي للآخرين، فالآخر حضور دائم عند الذات في جميع مراحل الحياة، كما أنَّ حضوره في هذا ليس شيئا عارضا، لكنَّه في الوقت نفسه ليس شيئا ثابتا باستمرار، بل تتغير خصائصه تبعا لتغير الظروف والمواقع التي يتواجد فيها، إذ يمكن أن يكون في ذلك فردا، أو جماعة، كما يمكن أن يكون معروفا للذات وقريب منها، كما يمكن أن يكون بعيدا عنها.»[1]

والواضح في هذا أنَّ "الآخر" هو الكلية التامة، التي تقودنا إلى فهم طبيعة علاقة الإنسان بنفسه وبيئته ومحيطه ومجتمعه، أي كلّ ما يقع خارج الذَّات، أو ما يختلف عنها من مادة ومعنى، كما يقدّم بدوره صورة عنها من خلال تعامله معها، على النَّحو الذي يتجلى فيه السلوك، من حيث« تصنيفه ما بين واحد أو جماعة أو قريب أو بعيد ومردُّ هذا الاختلاف هو اختلاف الذات الناظرة إليه، فهو فرد إذا كانت الذات فردا، وهو جماعة إذا كانت جماعة، وليس ذلك بشرط مطلق في الفكر الإنساني، فقد تنظر الذات الفردية إلى الجماعة، كما قد تنظر الذات الجماعية إلى الفرد، وقد يكون الآخر قريبا لها، كما يمكن أن يكون بعيدا عنها.»[2]

---

[1] الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، ص419.

[2] عبد الله بن محمد طاهر التريسي، ثنائية الأنا و الآخر (الصعاليك و المجتمع الجاهلي)ص173.

وبناءا مما سبق نجد أنَّ صورة "الآخر" تختلف من شخص لآخر، وما يزيد الأمر تعقيدًا هو اختلاف "الآخر" باختلاف موقف "الأنا" منه، وعلى هذا الأساس، فإنَّ هذا المصطلح هو عبارة مركبة من السمات الاجتماعية والنَّفسية والفكرية والسُّلوكية التي ينسبها الفرد أو الجماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها.

2-4- الآخر من المنظور القرآني:

إنَّ مفهوم "الآخر" في القرآن الكريم هو مفهوم مفتاحي بمعنى الكلمة، يصلح بتطبيق منهاجيه التَّحليل السّياقي والاستقرائي عليه، واستخدامه كوحدة تحليلية لأنماط العلاقات الإنسانية في وضعها الكلي من منظور يتسع فيه الزمان والمكان ليشمل الحياة الدنيا والآخرة، ويتسع في أطراف العلاقة ليشمل العلاقة بين الخالق والكون بكل ما فيه، والعلاقة بين الإنسان وبيئته و بين الخالق وكافة المخلوقات الظاهرة والغيبة. [1]

ويمكننا في هذا رصد بنية مفهوم"الآخر" في المنظور القرآني من خلال تحديد مستويات استخداماته، وذلك انطلاقا« من أنَّ لفظة "الآخر" في القرآن الكريم لم ترد بفتح الخاء إلَّا للدلالة على مخلوق أو إله زائف، ومن ثم فإنَّ هذا المفهوم خاص بما هو نسبي فقط، أمَّا الله تعالى فمن أسمائه "الآخِر" بكسر الخاء، أي الباقي بعد فناء خلقه كله، و" المؤخِّر" أي الذّي

[1] ينظر، السيد عمر، الأنا و الآخر من المنظور القرآني، ص133.

يؤخِّر الأشياء فيضعها في مواضعها، والمقدِّم والأول أي الذي ليس قبله ولا بعده أي شيء.»[1]

"ومعنى هذا أنَّ الله يتصف بالآخِرية والأولية المطلقة التي تحدِّد مفهوم "الآخر" في ذلك بأنَّه مفهوم علائقي لا يتحدّد إلَّا بغيره."[2]

ولنا في هذا صيغ مختلفة وردت فيها ذكر مادة "آخر" نذكر منها:

قوله تعالى في سورة يوسف:﴿وقال الآخَرُ إنِّي أحمِلُ فوقَ رأْسِي خبزًا تأكُل الطَّيرُ منهُ﴾ الآية 36 يوسف.

وقوله تعالى: ﴿يا صاحبي السِّجن أمَّا أحدُكمَا فيسقي ربَّه خمرًا وأمَّا الآخَرُ فَيُصْلبُ فتأكُلُ الطَّيرُ من رَأْسِه قُضِيَ الأمْرُ الذِّي فيه تُسْتَفْتِيَانِ﴾ الآية 41 يوسف.

وحديث سيدنا يوسف هنا جاء في مكان واحد، وهو السجن من أجل تحديد مصيرهما، فمن تحدَّث معه يوسف أولا اعتبر الأول، ومن تحدَّث معه ثانيًا اعتبر"الآخر".

---

[1] المرجع نفسه، ص151.

[2] المرجع نفسه ص152.

ثالثا :العلاقة بين الأنا و الآخر:

أخذ تحديد العلاقة بين "الأنا " و"الآخر" أهمية بالغة في الدّراسات النقدية العربية المعاصرة والقديمة، لدى الكثير من النّقاد والدّارسين، لأنَّها وبكلِّ بساطة تقوم على العلاقة الجدلية الموجودة منذ الظهور الأول للإنسان على سطح الأرض، وذلك انطلاقا من أنَّ العالم تتنازعه إرادتان، إرادة البقاء فيه مقابل إرادة الفناء.

وبداية لهذا يرى المفكر العربي الراحل حسين حنيفي« أنَّ المحدِّدات التي تحكم العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" تتوزع على ثلاث جبهات :(إعادة بناء التراث وهي الجبهة الأولى التي يعاد فيها رسم مسار الأنا")، (الجبهة الثانية لمشروع "التراث والتجديد" وهي تحديد الموقف من الأخر الغرب وذلك في علم الاستغراب الذي يهدف إلى فهم الأخر ....) (وهكذا نخلص إلى الجبهة الثالثة وهي موقفنا من الواقع المباشر الحاضر الراهن) وبينما نأخذ الجبهة الأولى من السلف والثانية من الغرب فإنَّ الجبهة الثالثة هي الواقع لمناط الإبداع كما أنَّ فيها تصب كلتا الجبهتان الأخريان.»[1]

ومنطلقا من هذا فإنَّ قضية "الأنا" و"الآخر" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، تعتبر من أهمِّ المواضيع التي تطرقت جلُّ الأبحاث العربية والنَّقدية لمعالجتها، وذلك بدليل أنَّ هذين المصطلحين مولودان معا منذ القدم.

---

[1] د.أحمد عبد الحليم عطية ،جدل الأنا و الآخر(قراءة في فكر حسين حنيفي)، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة ، ط1،1997،ص182و183.

في حين تحدَّدت العلاقة التي تجمع هذا "الأنا" "بالآخر" بعدَّة ثنائيات كثنائية التراث والحداثة، والشرق والغرب، والتراث والتجديد، واندرجت ضمن سياقات تاريخية وفكرية، تُعرف تارة بالإخضاع والتّبعية، وتارة بالانبهار والإعجاب، الأمر الذي جعل العلاقة بينهما جدلية قائمة في الحياة،« فلا وجود لأنا من دون آخر، ولا وجود لآخر من دون أنا، وصورتنا عن ذاتنا، لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما أنَّ صورة الآخر لدينا، تعكس صورة ذاتنا.»[1]

وانطلاقا من هذا القول تصبح عملية نفي"الآخر" في الوقت نفسه نفيًا للذات، لأنَّ هذا "الآخر" مكملٌ لها، يتطلب وجودها لوجوده، ويعتبر هذا التقارب بينهما شكلا من أشكال العلاج النفسي، لأنَّ طبيعة تقاسم المسؤوليات من حيث الاعتداء والإقصاء والتَّعالي والتَّعصب مشتركة بين الطرفين، وإنَّ الشُّعور بالآخر وإدراك خصوصياته هو وعي بالذات وإدراكها.[2]

ونحن في هذا لا ندرك الذَّات ذاتها بطريقة ذاتية تلقائية مريحة، وإنَّما يتمُّ هذا الإدراك عبر الغير دائما، بالتَّفاعل الرَّمزي معه عبر سلسلة من الأفعال وردود الأفعال وما يمكننا قوله هنا:« إنَّ الذَّات لا تعيش وحدها بل تكتشف سريعًا البنية الثنائية الحوارية للعيش، إنَّها

---

[1] الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا و منظور إليه، ص8.

[2] ينظر، مكي سعد الله ،جدلية الآخر المرجعية و الخصوصية ،ص3.

تكتشف الآخر والاهتمام والعناية به ورعايته، وتقدير الذات التي تنعكس احتراما له، فمن دون هذا الاحترام ليس هناك من تبادل ممكن مع هذا الآخر.»[1]

وفي هذا فالعلاقة بين "الأنا" و"الآخر" ليست في الاعتبار الأول علاقة معرفية، وإنَّما هي علاقة وجودية، تقتضي" الوعي بالذات ولزوم الوعي بالآخر وتفرعاته العامة كالزمن والرغبة والموت فلا وجود للآخر إلَّا بعد وجود أنا أو على الأقل ألَّا يوجد هذا الآخر إلَّا مصاحبا لها.

"وابتداءًا من هذا يتضمن الرُّجوع إلى جدلية العلاقة بين الأنا والآخر عند الباحثة التونسية "**أسماء العريف بياتريكس**" التي أمسكت بالآخر كجزء من الذَّات ورأت أنَّ نفي الآخر هو بتر للذَّات بمعنى أنَّه قطع لجزء منها، وهو الجزء الملعون من الذَّات هذا رغم أنَّه ضروري لاكتشافها إذ أنَّ تصور الذات لا ينفصل عن تصور الآخر.

أمَّا"**دلال البرزي**" فتقوم مفارقتها على إبراز حدَّة المفارقة بين النّسبي والكوني وبين الوعي وعدم المعرفة. فالآخر نسبي في ماهيته مع إدّعاء الإلمام به ومع ذلك فهو ضرورة حتمية في بلورة الهويّة وفي تنظيم الخصوصية، وهو في كلّ هذا يبقى عدوانيا بالدرجة الأولى إذ لا

[1] بول ريكور، الذات عينها كأخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، نوفمبر2005، ص 52 و 53.

توجد علاقة بالآخر إلّا على قاعدة غالب ومغلوب وبدونها يضمحل الآخر ويصبح عدما وبين الأنا و الآخر هنا مسافات متنوعة لا تخلو أبدًا من وسائط مختلفة بين الطّرفين."[1]

وختاما لهذا يمكن أن نلاحظ بأنَّ هناك تلازم بين مفهوم الذّات ومفهوم الآخر واستخدام أيٌّ منهما يستدعي تلقائيا حضور الآخر، ويبدوا أنَّ هذا التَّلازم على المستوى المفاهمي هو تعبير عن طبيعة الآلية التي يتم وفقا لها تشكل كلٌّ منهما. ودون الدخول في المزيد من التعاريف والشروح يمكن القول أنَّه ثمة عنصرين أساسيان أكدَّت عليهما معظم الكتابات التي عالجت صورة الذات وصورة الآخر: العنصر الأول معرفي والعنصر الثاني تقييمي، وكلا هذين العنصرين يتشكلان خلال خبرة الذات مع نفسها وخبرتها مع الآخر.[2]

والغاية في دراسة العلاقة بين هذين المصطلحين ليست وصف الآخر وحده بل قراءة الأنا في مرآة هذا الآخر.

[1] لطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا و منظور إليه، ص22.

[2] نفس المرجع ،ص813. -

المبحث الثاني: الفخر في الشعر العربي

من المعروف أنَّ الشعر من أهمِّ مقومات الشّخصية العربية، لوصفه ديوان العرب وسجلَّ حياتهم، ومركز أخبارهم، ومنبع فخرياتهم والحديث عنه يدفعنا للحديث عن أهمِّ أغراضه والمواضيع التي قيلت فيه.

وبالتالّي: " فإنَّنا ندرك كلَّ الإدراك بأنّ الشاعر العربي مهما يكن من عبقريته وأصالته وتفرده حتمًا إنَّه سيتأثر في التكوين النهائي له بطبيعة بيئته، وأحوال العصر الّذي يعيش فيه، من سياسة مادية، وأحوال معيشية فكرية، حيث يكون هذا التأثير واضحا جليًا، يترجمه في أشعاره، وفي هذا يجب أن لا نَنْسا أنَّ الشّاعر نفسه لم ينتج شعره بقصد التَّسجيل التاريخي

فقط، بل أنتجه في المحلِّ الأوّل لينفِّس عن حاجاته العاطفية الجمالية التي ثارت به وهزَّت وجدانه."[1]

وانطلاقا من هذا يعتبر الفخر من أبرز الموضوعات الشعرية، وأشدّها ارتباطا بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان، لما لقيه هذا الأخير من اهتمام بالغ لدى الكثير من الشعراء.

المبحث الثاني: الفخر في الشعر العربي

أولا: ماهية الفخر وتعريفه:

إنَّ الفخر من أوَّل فنون الأدب تأثيرًا على فطرة الإنسان، اشتهرت به العرب منذ الجاهلية فغالوا فيه، واتَّخذوه مُتنفَّسًا لهم في تعداد فضائلهم، والإبانة عمَّا تميزوا به من رفعة وقوة عن الآخرين.[2] حتَّى وإن لم يكن يستحق من الفخر شيئا، فلا يمكن لنا أن نتصور شاعرًا ما لم يفخر بنفسه أو بقومه ولم يتطرق إلى تناوله في أشعاره بقلة أو بإسهاب قديما وحديثا.

[1] عبد الغني احمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث و التاريخ، ط1421،1هـ، 2001، ص 85.

[2] ينظر، جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 189

فقد عدَّه أبو تمام من أبرز موضوعات الشّعر في كتابه ديوان الحماسة، "واتَّفق مؤرخو الأدب أن يجعلوه والحماسة بابًا واحدًا لما بينهما من الاتصال الوثيق، ولأنَّ الحماسة ليست سوى فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه، ووصف فرسه وسلاحه وباب الفخر في الجاهلية، وإن اتسع إلى موضوعات غير الفروسية كالنسب والسيادة والكرم والأخلاق والأهل والولد والفصاحة لا يخلو أصلا عن المباهاة بالشجاعة والإقدام. ومن العبث أن نبحث عن فخر شاعر بنفسه أو مدح شاعر لغيره، أو رثاء شاعر لميت دون أن يكون للشجاعة القسط الراجح، بحيث لا يمكن أن نفصل الفخر عن الحماسة لأنَّهما وجدا توأمين متلازمين، فلا فخر بدون حماسة وكذلك الحماسة هي الفخر بعينه."[1]

كما جاء تعريفه بأنَّه :"ضربٌ من الحماسة وهو التَّغني بالفضائل والمثل العليا، والتَّباهي بالسَّجايا النَّفيسة، والصّفات القومية، والزَّهو بالفعال الطيبة، وألذُّ أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله من الشجاعة والكرم والمروءة وحماية الجار، وطيب المنبت، وعراقة النسَب والأصل وكثرة المال والولد، إلى غير ذلك مما يزهو به الإنسان ويختال به على غيره." [2]

(1) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار نظير عبود، دار الجبل، بيروت، ص44.

(2) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي(خصائصه و فنونه)، ط5، 1416هـ - 1986م، ص300

ويمكن أن ندرج مفهوم الفخر أيضا في التمدُّح بالصّفات الحميدة والخصال الطيبة والاعتزاز بها كما جاء في لسان العرب على لسان ابن منظور:«الفخر هو التمدُّح بالخصال الحميدة، والافتخار بها هو إدِّعاء العظم، والكبر والشَّرف.»[1]

كما يمكن أن نحدِّد الفخر بأنَّه بابٌ من أبواب الشّعر الغنائي " يتغنَّى فيه الشّاعر بالفضائل والمكارم والقيم العليا والمثل السَّامية التي ترفع مكانته وتزيد قيمته".[2]

ثانيا : تطور الفخر من العصر الجاهلي إلى الإسلامي

1-شعر الفخر في العصر الجاهلي :

لم يعرف الجاهليون في حياتهم أنواعًا مختلفة من الشّعر، لكنَّ الشّعر الغنائي كان النَّوع السائد في معظمه، لأنَّه ينطلق أساسًا من عفوية الإنسان ولا يحتاج إلى تفكرٍ أو تأملٍ أو تدبرٍ، وكان الفخر في هذا من أهمِّ الأنواع الشعرية التي نبتت تلقائيا من نفوس تهوى العزَّة والنفس والمجد، وقد ساعد عليه ما كان هناك من أسواقٍ تُبسط أمام القبائل ميادين قومٍ ومفاخرة، ومن مجالس أدب كان العرب يجتمعون فيها لمناشدة الأشعار ومبادلة الأخبار، وكانوا يسمونها أندية وكان لكلِّ نادٍ فناء يزدحمون فيه للتناشد والتَّفاخر.[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة فخر،48

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 189

[3] حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة، دار المعارف،القاهرة،ط5، 1119، ص11

كما عرف العصر الجاهلي حركة شعرية ناشطة، تنوعت فيها الأحداث والمناسبات التي دعت الكثير من شعراء العرب إلى تناول الفخر في قصائدهم، وجعلت منه محطة للتنافس بين الشعراء أنفسهم، وكان للشاعر في ذلك مكانة مرموقة ميزته عن باقي أفراد قومه "فالشاعر الجاهلي لا ينظّم فخره القبلي لمجرد أنَّه الرَّأي السائد في مجتمعه، ولا لأنَّه رأى أنَّ واجبه هو أن يروِّج لأراء جماعته بالدِّعاية لها، بل لأنَّه أحسَّ إحساسًا عنيفًا قاهرًا بهذه العاطفة ، فهو حين نظَّم فخره القبلي لم يكن دافعه المباشر إلَّا أن ينفّس عن هذا الانفعال الذي غلب على مشاعره من حبٍّ ملتهبٍ لقبيلته، وفخرٍ مجلجلٍ لمآثرها، وسعادةٍ مجنحة بانتمائه إليها، و بغض قوى أعدائها واحتقار ذريع لهم ." [1]

وأصدق قول شعري لنا في ذلك ما قاله الفند: واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي، الشاعر الجاهلي والفارس الذي شهد حرب بكر وتغلب يقول مفتخرا بقومه الأشداء بني حنيفة:

صفحنـا عن بنـي ذهل وقلنـا القـوم إخـوان

عسـى الأيام أن يرجعنا قـوم كـالذي كانـوا

مشينـا مشية اللّيـث غـدوا واللّيـث غضبـان

بضـرب فيـه توهيــن وتـخضــع و إقـران

[1] محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمه،الدار التقويمية للطباعة و النشر، القاهرة،ج1، ص214،215.

وبغض الحلم عند الجهل للــذّات إذا عـــان

وفــي الشــرِّ نجــاة لا ينجيــك إحســان[1]

وعلى هذا الأساس ظل الفخر في تطور حتى أصبح من أصدق ضروب الشعر وأقربها إلى النفس، ودارت قصائده في هذا العصر حول الشجاعة واليأس، والنجدة، ومنح الجارات، وإجارة الموالي وإطعام وإكرام الضَّيف، وبذل المال والولد، وإثارة الآخرين.

وأشهر قصيدة في ذلك تلك المنسوبة إلى عمرو بن كلثوم، والتي بلغت أربعة أبيات ومائة، كلُّها فخرٌ وحماسة، قد كانت تغلب قبيلة الشاعر تعظّم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها حتى هجاهم في ذلك أحد الشعراء فقال:

ألهي بني تغلب على كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يرونــها أبدا مذ كان أولــهم بالرجال لشعر غير مسؤم[2]

ومن الشّعراء من يؤثر قومه في الفخر وينسب إليهم كلَّ فضيلة، ويتحدث عن فضائله من خلال فضائل قومه عمر ابن الإطنابة يظهر ذلك في قوله:

إنِّي من القوم الَّذين إذا إنتدوا بدأوا بحــقِّ الله ثــمَّ النَّائل

المانعين من الخنَا جــاراتهم والحاشديــن على طعام النــازل

(1) يحيى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، دار الفكر العربي، بيروت، ص61.

(2) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، ص302.

والخــالطين فقيرَهم بغنيهم والباذليـنَ عطاءهَـم للسائــل

والقاتلين لدى الوغى أقرانـهم إنّ المنيَّــة من وراء الوائــل

خزر عيونُــهم إلى أعدائــهم يمشون مشى الأُسد تحت الوابل

ليسوا بأنكـاس ولا ميـل إذا ما الحربُ شبَّت أشعلوا بالشّاعـل [1]

فهذا القول الشعري أصدق مثال على ذوبان الفرد في القبيلة، عبّر فيه الشاعر بصدق عن حبه لقومه وجمع فيهم كلَّ خصال الخير والشَّرف، والكرم والمروءة، والحكمة والشَّجاعة، وربط نفسه بحبِّه لهم.

وبما أنَّ الفخر صفة مشتركة بين جميع الشّعراء، فمن الطَّبيعي أن يكون للشّعراء الصعاليك في الأدب العربي فخرا مميزا، جاء من عصارة البادية، و خلاصة النفس العربية التي قامت ضدّ فكرة العصبية القبلية، وانطلقت ألسنة الشعراء في ذلك "تمدِّد الذّات و توسعها، وتعوض للشاعر ما له من نقص في حياته، ومن تهديد العدم المستمر له سواءً كان هذا الشّاعر يفخر بفروسيته،أم بفحولته(الغزل)،أم بميَّته(الرثاء)،فإنَّه يجعل من ذاته تتعالى على سواها."[2]

ومن جيد فخر هذه الفئة ما قاله أحد أشهر صعاليك العرب "السليك ابن السلكة" مفتخرا بنفسه مشيدًا ببطولته وعظمة آبائه فقال :

---

[1] المرجع نفسه، ص 303 و304.

[2] ديزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1995،1، ص135.

ألا عتبت عليّ فصا رمتني **وأعجبها ذوّو اللّمم الطّوال**

فإنــي يا ابنة الأقوام أربــى **على فعل الوضـيّ من الرجال**

فلا تصلــي بصعلوك نــؤوم **إذا أمســى يعدّ من العبـال**

ولكن كـل صعلوك ضـروب **بنصل السيف هامات الرجـال**[(1)]

والواضح من خلال هذا القول الشّعري أنَّ الصّعاليك جعلوا من الفخر موضوعا لأشعارهم يمتاز بقوة الإرادة والحزم والجرأة والاستهانة بالموت و" تأبط شرّا مثال حي يمثل البادية في باديتها وقسوتها ورجل الحزم الذي يقرن الشجاعة إلى الفطنة والإقدام إلى الحكمة."[(2)]

ومن أروع فخرياته ما قاله يوم حاول قوم من بني لحيان من هديل أن يأسروه فما استطاعوا إليه سبيلا فقال:

إذا المرء لـم يحتل و قد جدَّ جدّه **أضاع و قاسى أمره وهو مُدبـرُ**

ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا **به الخطب إلا وهو للقصد مُبصر**

فذاك قريعُ الدّهر ما عاش حُوّل **إذا سُدّ منـه مَنحر جاش منخرُ**[(3)]

---

(1) يحيى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، ص 19و18.

(2) حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة،ص 12.

(3) المرجع نفسه،12.

2- شعر الفخر في العصر الإسلامي :

إذا تتبعنا تطورات الفخر من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، مرورا بالعصر الإسلامي، نجد أنَّ هذا الفخر لم يتغير بتاتا، فالجاهلي افتخر بنسبه وحسبه وماله وشجاعته، وقوة قومه وكرمهم، وكذلك اتّبعه وسار على نهجه الشعراء في باقي العصور، إلَّا أنَّنا نجد بعض التجديدات التي فرضها الواقع الجديد في العصر الإسلامي، وعلى سبيل المثال طبيعة الحياة في العصر الجاهلي وما حملته من تعصب في الانتماء القبلي لها جعلت الشعراء يستوحون معظم أغراضهم وفنونهم الشعرية من هذه العصبية القبلية فراحوا يتغنون بها ويفتخرون بفرسانها ومكارم الأخلاق التي تحلت بها.

لكن بمجيء الإسلام دخل هذا الفخر مفهوما آخر،وأخذ يتبع نهجًا جديدًا قوامه الدّين والأخلاق التي يدعوا إليها، فعمل على جمع كلمة العرب وتوحيدها ونقلها تحت لواءٍ واحد، من فردية قبليَّة، إلى قومية عربية، ونظَّم بذلك شؤونهم الاجتماعية وتناول أصولهم الأخلاقية وهذَّبها و نماها ووجهَّها في طريق الاستقامة والخير والفضيلة .[1]

والشَّائع بين الناس أنَّ الإسلام لم يكن سببًا في انصراف الناس عن الشّعر وروايته فقط ، بل كان له الفضل في تحويل مجرى أفكار المؤمنين عن الفنون والأغراض الشعرية المنحرفة عن سنن الشرف والحق، فنتج عن ذلك مظاهر وأغراض شعرية جديدة اتخذ الفخر فيها منحنى جديد ينسجم مع ما تتطلبه الحياة الجديدة وما يدعوا إليه الإسلام من مثل وقيم

[1] ينظر، حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة، ص11.

سامية، فأصبح أمام الشاعر صور كثيرة يستمد منها مفاخره ويتعالى بها ويدعو إليها فأنتج في هذا الصدد فخرًا شعريًا يدعوا فيه إلى الجهاد في سبيل الله تعالى وحماية المسلمين في الأراضي الصَّعبة والسهلة والإقدام في الحروب ضدَّ المشركين بكلّ قوة وشجاعة، وكان الدَّافع الأساسي لهذا الإقدام هو الإيمان بالدِّين الإسلامي والتَّصديق به.

وإذا ما أردنا الحديث عن غرض الفخر في الإسلام لابدَّ لنا أن نلاحظ أثر هذه الحياة في نفوس العرب عامة، والشعر خاصة، والتطور الجذري الذي حدث على أقوالهم وأشعارهم، فقد تشرَّبت نفوسهم في هذه المرحلة بالإيمان الصَّافي، وأصبحت ألسنتهم مقيدة عن قول الفحش، والفخر بالأنساب والأحساب، والمال والولد، ليحل محلَّه الفخر بالدِّين الجديد والدَّعوة لنشره. والقارئ لفخريات هذا العصر حتما سيلاحظ التغير الجذري الذي طرأ عليه بعد أن صقل الإسلام فيه مواهب الشعراء وأمدَّهم بفيض غزير من القيم الروحية والمعاني السامية، فقد تحوَّل هذا الشعر من فخر ذاتي كان يمدح فيه الشاعر نفسه وقبيلته إلى فخر تعليمي ينسجم فيه مع متطلبات الحياة الجديدة الحافلة بعزَّة النَّصر والإيمان الإلهي والشّجاعة المبنية على العقيدة الثابتة،وانتهج الشّعراء في ذلك سياسة جديدة تمثَّلت في تسجيل تاريخهم الأدبي لما ذكروه من وقائع وأيام وأحداث تغلَّبوا فيها على الكفَّار ونشروا فيها الدَّعوة الإسلامية.

وخير دليل شعري لنا في ذلك قول حسان ابن ثابت وهو يفتخر على الكفار من شعراء قريش:

لنا في كلّ يوم من مَعد سباب أو قتال أو هجاء

فنحكمُ بالقوافي من هجانا ونضربُ حين تختلط الدماء [1]

وبطبيعة الحال فإنَّ هذا الفخر طرأت عليه الكثير من التَّجديدات التي أقرَّها وفرضها الواقع الجديد، ومنطلقا من هذا تميَّزت فخريات الشعراء عامة، على تخويف المشركين مرّةً، ودعوتهم إلى نصرة الله مرّةً أخرى، ولنا في قول الحارث بن مرّة في وعظه لبنى عامر:

بني عامر إن تنصروا الله تُنصَروا وإن تنصبوا الله والدين تُخذلوا

وإن تُهزَموا لا ينجكم منه مهرب وإن تثبتوا للقوم والله تُقتلوا [2]

وبعضها كان حماسة دينية يهتف بها المحاربون من المسلمين مثل قول أوس بن بجير الطائي في موقعة بُزاخة:

وليت أبا بكر يرى من سيوفنا وما تختلي من أذرع ورقاب

ألم ترَ أن الله رب غيره يصبٌ على الكفار سوط عذاب[3]

إضافة إلى هذا فإنَّ الكثير من الشعراء فخروا بالتزامهم بالدّين الإسلامي، والدعوة إلى نشره، وأشهرهم في ذلك "كعب بن زهير" و"حسان بن ثابت" هذا من جهة، أمَّا من جهة أخرى وبعد ظهور الإسلام وانتشاره، بدأ مفهوم الفخر يشيع شيئاً فشيئاً في الشعر العربي، واستطاعت

---

[1] سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص21

[2] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي ، دار المعارف ،ط20، ص54

[3] المرجع نفسه ص54 .

العقيدة الإسلامية أن ترفع وتعلوا على صوت الانتماء القبلي والافتخار الذَّاتي، وأخذ صوت الشّعراء يعلوا في افتخارهم بانتصاراتهم وقوة ثباتهم وقوتهم وشجاعتهم في تحمل الصِّعاب والإقدام عليها بكلّ قوةٍ وعزمٍ، وفي قول حسان بن ثابت أصدق مثال في ذلك:

ولقد يعلـمُ من حارَبنــا أنَّنا ننفـعُ قدما ونضـر

صبر للموت إنْ حلَّ بنا صادقوا البأس غطاريف فُخُر

وأقـام العزُّ فينا و الغنـى فلنا منــه على الناس الكُبُـر

منــهم أصلي فمن يفخـر يعرف النـاسُ بفخر المفتخر[1]

كما فقال مفتخرا بنفسه:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلُغُ ما يبلغ السيفَ مذودي[2]

ثالثا: أقسام الفخر واتجاهاته:

ارتبط الإنسان ببيئته ارتباطا وثيقًا، وتشبث بها منذ الأزل، وتأثَّر فيها بمختلف مظاهرها، السّكونية والحركية، وتجاوب فيها مع الطرف الآخر تجاوبا عاطفيا قوي، جسَّده في فخريات تؤكد وتبرّر غاياته في الوقت نفسه.[1]

[1] سراج الدين محمد ، شعر الفخر، ص 23.

[2] نفس المرجع، ص 23.

وسرعان ما راح يجسّد فخرياته في نزعتين تتجاذبانه، نزعة جماعية تدعوه نحو القبيلة، وهي ما يعرف بالنزعة العصبية، ونزعة فردية تجعله متميزا من طغيان روح الجماعة،« وقد قوى هذا النزوع الفردي ما طبع عليه العربي من حب للحرية ومن إيباء نفسه وما يجعلانه عسير الانقياد فيما يتعلق بشؤون القبيلة.»[2] وقد عبّر في ذلك الشّاعر نفسه على هذا التجاذب النّفسي الجماعي والفردي أفضل تعبير، وصاغه في فخريات يصون بها قبيلته تارة، ويرفع من شأنه وشأن قومه تارة أخرى، فحين أنَّه لم يغفل في كلّ ذلك نوازعه الذَّاتية والشّخصية

ويمكن أن نلحظ في هذا اتجاهين بارزين من أنواع الفخر:

أولهما: اتجاه فردي ذاتي، يفتخر فيه الشّاعر بنفسه مستقلا بمكارم الأخلاق لذاته دون سواه، يسير في عدّة محاور،تصبّ كلّها في اعتزاز الشّاعر بنفسه، وما يمتلكه من مواهب وصفات.

ثانيهما: افتخار جماعي، يتمثل أساسا في افتخار الشاعر بقومه، وأبناء قبيلته، وما لهم من عراقة في الأصل والنسب.

1-الفخر الذاتي:

[1] جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ص 53.

[2] الإنسان في الشعر الجاهلي، ص 85.

إذا كان الإنسان العربي قد رفع قبيلته إلى الذروة في البأس والشّجاعة، والسّجايا الحميدة، وكاد صوته أن يتلاشى في صوت الجماعة، فإنّه في كثير من الأحيان شمخ بنفسه، وتطاول بها، حتى جعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة، إذ لم يدع صفة من صفات البطولة و الفتوة، إلَّا وألصقها بها، ولا خصلة من خصال النبل والشرف، إلّا وجعلها مزية من مزاياها.[1]

وإذا أتينا إلى الشعر العربي عامة، والشعر الجاهلي على وجه الخصوص، سنجده زاخرًا بفخر الفرد بنفسه وإعلاء مكانته، ورفع شأنه وذلك انطلاقا من كون هذا الأخير المصّور الأوَّل للحياة الطبيعية، وما يدور فيها من أخلاق وخصال، تدفع الشاعر إلى التغنِّي بها. فراح الشعراء في ذلك يتغنون« بكرم قلوبهم وترفعهم عن الفحشاء وتنكرّهم للعار والصغار وتواضعهم وحيائهم، وعفوهم عند المقدرة، كما راحوا يتغنون بثورتهم في وجه الإهانة، وصلابتهم في طلب الثَّأر.»[2]

وانطلاقا من هذا فالفخر في أبسط تعريف له:« هو تعداد الصّفات وتحسين السّيئات والذات في الفخر ذات وتمديدات للذّات، أما الفخر الذاتي فهو ما دار حول العقل والقلب واللسان و الساعد وما دار حول القبيلة والآباء والأجداد.»[3]

---

[1] الإنسان في الشعر الجاهلي، ص98.

[2] حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة، ص 10.

[3] المرجع نفسه ، ص5.

وعلى كلّ فالموضوعات التي تقابلنا في أشعارهم كانت« تتفاوت بين شاعر وآخر، فواحد ينخفض صوته حتى لا يكاد يبين، وآخر يلعلع صوته مدويًا، حتى لا يسمع أيُّ صوت سوى صوته». وما يَهُمُّنا في هذا المجال، هو الإشارة إلى ذلك الفخر الذِّي يتوجه فيه الفرد إلى إبراز الذّات وتضخيمها، وإعلاء صوتها حتى يطغى فيها صوت الفرد على صوت الجماعة.[1]

ومن الطبيعي في هذا أنَّ الموضاعات التي تعرَّض لها الشاعر العربي في فخرياته، اختلفت من موضوع لآخر، ذلك لأنَّ ظروف الحياة من حوله، وطبيعة وجوده جعلته ينطلق من إبراز الذّات الفردية وتضخيمها، إلى التغنّي بأهمّ الصّفات والخصال الحميدة، التي تتأجج في نفسه وتقوّي روح الإحساس فيه ومن أهمِّ الموضوعات التي تبين هذه القيم الفردية:

1-1-الكرم:

كانت صفة الكرم في مقدمة القيم التي حفل بها الشعر العربي عامة، واهتم بها الشعراء خاصة، ولعلَّ السبب الرئيسي في ذلك يعود إلى الشّعر الجاهلي الذِّي يبيِّن لنا في كثير من

[1] المرجع السابق، ص 98.

مواضعه أنَّ للعرب قيم أخلاقية شاعت بينهم، وتقبلوها سلوكات يسيرون عليها، ودعا بعضهم بعض إلى الأخذ بها والاهتداء بنبراسها، ولعلَّهم كانوا في ذلك من أوائل الأمم التي اعتدت بمكارم الأخلاق، وافتخرت بفضائل الخلّال فلا تذكر في أقوالهم صفة الكرم والجود والعطاء إلَّا مقترنة بأسماء بعظهم، وكلُّ ذلك راجع إلى طبيعة الحياة القاسية التي تطلَّبت منه تضامنا وتكافلا بين الأفراد، وتمديدُ يَد العون للآخرين خشية هلاكهم جوعًا أو عطشًا، ومما يبدوا في هذا الأمر، أنَّ الشاعر العربي كان مقتنعا قناعة تامة، بأنَّ الرَّجل القوي لا يكتفي بتأمين رزقه ورزق أهله فقط، وإنَّما يمتدَّ عطاؤه ليشمل كلَّ مسكين معتفٍ، أو طالب حاجة يطرق بابه، ويرتجي عونه.[1]

وانطلاقًا من هذا اهتمت العرب بصفة الكرم، واعتبروه كالحبل الذِّي يربطهم ببعظهم البعض، ويزرع في نفوسهم وحدة المحبة والأخوة، التي يشرّف بها المرء، ويحقق بها مكانة اجتماعية مرموقة تجعل الجميع يقتادون به، وينظرون إليه بعين التقدير والإعجاب، فراح الشعراء في ذلك يفخرون بكرمهم، وقوة إرادتهم في نشر الخير ودفع روح البخل والشح.

[1] الإنسان في الشعر الجاهلي، ص 253.

وكان في ذلك فخر حاتم الطائي، خير دليل على جودة العرب وعطائهم، حتى اقترنت قيمة الكرم باسمه في أذهانهم، وترسخت في أشعارهم، فلا يذكر الكرم إلّا إذا ذكروه معه فقيل: {أجود من حاتم الطائي وأجود من كعب بن مامة}.[1]

و أصدق مثال شعري في عطائه قوله :

إذا ما بخيلُ النَّاسِ هرّت كلابُه وشق عليا الضّيف الغريب عقورُها

فإنّــي جبانُ الكلبِ بيتـي موطأُ جوادٌ إذا ما النفسُ شحَّ ضميرهـا

ولـكنْ كلابِي قد أقرَّت وعُودَّتْ قليـلُ علـى مـا يعتريهـا هريرهـا[2]

فلا غرابة أن نجد الشّعراء يفخرون بأنّ كلابهم تألف النَّاس، ولا تُأذيهم، لما اعتادته من كثرة زيارة الأضياف لهم، كما أنَّه يعظّم من شدة كرمه في أصدق تعبير عن جودته، وعطائه على النّاس ودفع روح البخل والشح.

وقال أيضا:

وإنّي لأقْري الضَّيف قبل سؤاله وأطعَنُ قِدْمًا والأسِنَّةُ تَرْعُفُ

وإنّي لأخزى أن تُرى بيَ بِطْنة وجاراتُ بيتي طاوياتٌ و نُحَفُ

وإنّــي لأُعطي سائلي، ولربَّما أكلِّف مـا لا أستطيـع، فأكلـف

---

[1] ينظر، نفس المرجع، ص254.

[2] يحيى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، ص 41.

وإنّـي لمذموم، إذا قيـل حاتـم نبـا نبوةً إن الكريـم يعنَـف[1]

كما قال يفخر بجودته وكرمه وتحقيقه مكانة عظيمة وسط قومه، جعلته سيدا عليهم في إكرام ضيفه وترحيبه المميّز له:

يقولون لـي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدًا [2]

قُـدُوري، بـالصحراءَ، منصوبـة وما يَنبْـحُ الكلْـب أضْيـافيه

وان لـم أجيـد لنزيلـي قـرَى قَطَعـتُ لـه بـعض أطرافِيـه [3]

من المعروف أنّ شهرة الكرم والكرماء بين العرب لا تكاد تعدلها شهرة، وإنَّ المتصفّح لأشعار هؤلاء العرب حتما سيجدها زاخرة بالإشارة بهما، ويشعر من خلال الاطّلاع عليها، بمدى ما يكنّه هذا الإنسان العربي في نفسه من تقدير واحترام لهما، ومن رغبة شديدة في أن يتحلَّى بتلك القيمة الخلقية، التي منحها المجتمع أرفع مكانة لديه، وجعل من يتصف بها في الذروة من النبل والشرف، ودعا الآخرين إلى الاقتداء بها، والنَّسج على منوالهم.

ومنطلقا من هذا لا يمكننا الحديث عن الفخر بصفة الكرم في الشّعر العربي، دون أن نغفل شأن الصّعاليك في ذلك، لأنّهم ارتبطوا به ارتباطا مباشرا، وما هو واضح من أخبار هؤلاء الصّعاليك، أنّ معظمهم لم يكونوا من أبناء القبائل الصّرحاء، وإنّما كانوا من الموالي، أو

(1) ديوان حاتم الطائي، دار صادر بيروت ،1401 ه .1971م ،ص70.

(2) ديوان حاتم الطائي، ص 75.

(3) المرجع نفسه، ص 72.

الخلعاء، أو الأغربة الذّين نبذتهم قبائلهم، ورفضت أن تلحقهم بنسبها، فلا غرابة بعد ذلك أن نجد قيمة الكرم تغدوا لديهم أكثر أهمية وأكثر رسوخا وثباتا، لأنّهم عدَوها من أجدى الوسائل التي تخفف عنهم الفقر والعوز، وقد برز من أولئك الصّعاليك فئة مميزة من الشّعراء عبرّوا عن مشاعر فئتهم خير تعبير أمثال: تأبط شرا، والشّنفرى، والسّليك بن السلكة، وغيرهم. [1]

وظهر هذا الكرم في أسمى صوره متمثلا في الإيثار الذي هو تفضيل الآخرين على النفس، وإذا حاولنا البحث عن أسباب هذا الكرم، فإننا نجد الباحثين يقدمون أراء مختلفة، منهم من يُقرِنه مع فضائل التحدي وتقوية روح العطاء، ومنهم من يراه نابعاً من القلب، يُشرف به المرء نفسه ويرفع من شأنه وقيمته وسط أقرانه، ويخلّد به المرء بعد موته وسيلة يذكر بها. فراح الشعراء في ذلك يصفون الكريم بالشهامة والنجدة في تقديمهم يد العون لكلّ محتاج، وأشهر الشعراء الذّين عبرّوا عن هذه القيمة وقاموا بإعطاء دروس فيها عروة بن الورد الذي كان قدوة في إيثار الآخرين على نفسه، وإشراك المحتاجين زادهم، وقال في ذلك مفتخرا بكرمه وشدة عطائه ساخرا من البخلاء:

أتهزأ منّي أنْ سمنتَ وأن ترى بجسمي مسَّ الحق والحق جاهد

لأنّي مرء عافى إنـائي شركـه وأنت امرء عافي إناؤك واحد

[1] ينظر، الإنسان في الشعر الجاهلي، ص271.

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد[1]

كما قال عروة في إكرام الَّضيف، واعتبار البيت بيته، والفراش فراشه:

فراشي فراش الضّيف والبيت بيته ولم يلهيني عنه غزال مقنع

أحدثه إنَّ الحديث من القرى وتعلم نفسي انَّه سوف يهجع [2]

و في حديثنا عن كرم الضيف و تعظيمه قال السمؤول مفتخرا بنفسه :

وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النار لين تنزيل

سلي الطارق المعتز يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري

أيسفر وجهي أنّه أولى القرى وأبذل معروفي له دون منكري[3]

وبما أنَّ الكرم من الصّفات المعروفة التي لا يرجوا المرء من وراء فعلها جزاء و لا شكورًا، وإنَّما يقوم بها بدافع حبّ الخير للنّاس وما تمليه عليه نفسه من القيام بالواجبات الإنسانية تجاه الغير وقال الشّنفرى مفتخرا بشرف وكرم زوجته:

ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها إذ تولت

أميمة لا يخزي ثناها حليلها إذا ذكر النسوان عفت وجلَّت

فقد أعجبتني لا سقوط قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفت

---

(1) سراج الدين، محمد الفخر في الشعر العربي، ص 15.

(2) الحماسة ، مختصر شرح التبريزي، ج2، ص314.

(3) سراج الدين محمد ،الفخر في الشعر العربي ص7

كان لها في الأرض نسيب تقصه إذا ما مشت وإن تحدثك تبلت[1]

تبيت بعيد النوم تهذي غبوقها لجاراتها إذا الهدية قلت [2]

فشاعرنا هنا أجاد وبرع في تصوير حبّه لزوجته، وافتخاره بحسن خلقها ولطيف كرمها، في مواطن الحاجة والشدّة.

وإذا ما ذكرنا هذه الصفة في الفخر الإسلامي، فإنَّ قول قيس بن عاصم وهو يفتخر بنفسه، أصدق قول في تجسيد هذه القيمة الخلقية، وهو يحثُّ زوجته على الأخذ بها حيث قال:

يا ابنة الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس والورد

إذا ما أصبت الزاد فالتمسي له أكلا فانِّي لست آكله وحدي

وصيًا كريمًا أو قريبًا فإننِّي أخاف مذمَّات الحديث من بعدي

وإنِّي لعبد الضيف ما دام ثاويا ومتا من خلال غيرها شيمة العبد[3]

والواضح من خلال ما رأيناه، أنَّ الغاية والقصد من موضوع الكرم صارت واضحة، تُأكِّد لنا أنَّ الفخر بهذه القيمة يهدف إلى معانٍ تفوق المباهاة بالذّات الفردية والزَّهو بها، وأنَّ هذا الأخير انتقل من مجرد خلق يتصف به ذو النّفوس العالية، وأصحاب المواهب النفسية المتأصلة، إلى واجب وحقّ مفروض تُحتِّمه الظُّروف القاسية، وأحوالها السَّيئة، فكانت هذه

---

(1) محمود حسين أبوا ناجي ، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي ، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ،ط2007،ص

(2) المرجع نفسه،،ص54

(3) الفخر في الشعر العربي ، ص31.

القيمة سببا في سعادة الكثيرين، وإعانتهم في التَّغلب على عوامل الهلاك، وطرد شبح الفقر المسيطر على أغلب البيئات العربية، ومنطلقًا من هذا راح الشعراء يُعظِّمون الكريم والكرماء، ويفخرون به في أجمل التَّعابير والأشعار.

2-2- الشجاعة:

عرف الإنسان العربي الشّجاعة كظاهرة إنسانية عامة، تتنوع مستوياتها وآلياتها بتنوع شروطها الذاتية، فهذه الأخيرة عنده، تعني الإقدام على الحياة بتفوق، والإقبال على كلّ ما فيها من ملذّات وآلام دون خوف أو خجل.

ونحن إذا تقصينا حياة العربي منذ الطفولة، أدركنا أنَّ هذه الأخيرة ولدت بالفطرة معه، وأنَّها تتمشى في دمه، كيف هذا لأنَّه ولد في بيئة تتمدَّح بالبطولة، والإقدام في الحرب، وحسن البلاء في حماية الجار، والأخذ بالثار، والصَّبر على الشدائد والأهوال.

والشّجاعة بهذا المعنى تشمل الفروسية والبطولة والفتوة، لأنّ الفرد الشجاع في نظر العرب لابدَّ أن يكون فارسًا بطلًا جريئا مقدامًا، يستطيع أن يفخر بنفسه ويلصق صفة الشجاعة باسمه.

وانطلاقا من هذا راح الشعراء« يتباهون ببطولاتهم، ومضاء أسلحتهم، ويتغنَّون بالمثل العليا، التي جعلتهم فرسانا،لا يهابون الموت، يقذفون أنفسهم في المخاطر، يخضون غمرات المنيَّة،

لا يأبون الذلَّ والهزيمة، والنَّصر حليفهم في هذه المعارك. وجعلتهم لذّة النصر و نشوته في هذا يكثرون من ذكر المعارك التي أوقعوا فيها بأعدائهم و ما كسبوا فيها من غنائم."[1]

وقد جمع أبوا تمام في حماسته كل معاني البطولة والشجاعة من وصف للحرب وما ينجم عنها من صفات خلقية تدفع الشاعر للتباهي بها.

وفيما قيل في حمل النفس على المكروه عند الحرب وما يدلُّ على شجاعة الشعراء وفخرهم بقوتهم قال عمر بن معدي كرب الزبيدي:

وقفت كأنَّني للرماح دريـة أقاتل عن أحساب جرم وفرت

وجاشت إلي النفس أول مرة فردت على مكروهها فاستقرت [2]

وقال مالك بن عوف فاخرا بنفسه :

ومُقَدَّم تجبُ القلوب لضيقه أقْدمته وشهود قومي أعلم

ونصبتٌ نفسي للرِّماح مدججا مِثل الدّرية والحروب تُضرَمٌ [3]

كما قال تأبط شرا في الأخذ بالثأر والاستشفاء من العدو:

---

[1] يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، ص296.

[2] أبي عبادة البحتري، الحماسة، تحقيق: محمد إبراهيم حور أحمد محمد عبيد، هيئة أبوا ظبي للثقافة والتراث، 1428 2007م، ص39.

[3] المرجع نفسه، ص43.

ولكنْ ثأر صاحب بطن رهوٍ وصاحِبه فأنا بــه زعيمُ

آخذ خطـة فيها ســواءٌ أبيـت وليل واتِرهَا نؤومُ

ثأرت به بما اقترفت يداه فظلَّ لهم بنا يوم مشئوم [1]

وفي حديثنا عن الأخذ بالثأر، قال عدي بن حاتم الطائي أيضا في ذلك:

من مُبلغٌ أفناءَ مَذحج أنَّنِي ثـأرتٌ بخـالـي ثـم لـم أتـأثـم

تركتُ أبا بكر ينوءُ بصدره بصفين مخْضُوبَ الكّعوب من الدم

يذكرني ثأري غداة لقيتــه فأجررته رُمحـي فخر على الفم

يذكرني ياسينَ حين طَعنتهُ فـهـلا تلا ياسينَ قبـل التقدم [2]

لقد عبر الشاعر العربي عن الشجاعة أصدق تعبير، وصاغ تعبيره هذا في فخريات كانت المعركة هي ميدانها الفسيح، الذّي يستمد منه معانيه البطولية والحربية، حيث عرض فيها صورا حقيقية عن أهوال القتال، والمعاناة الكبيرة التي يخوضها من أجل تحقيق النصر.

وإذا أردنا الحديث عن هذه البطولات فلنا في حديث حاتم الطائي وافتخاره بنفسه دليل قاطع على صدق كلامنا هذا حيث قال:

---

[1] المرجع نفسه، ص100.

رأتنـي كأشلاء اللجام ولـن تـــرى أخا الحرب إلا ساهم الوجه اغبرا

أخوا الحرب إن عضت به الحرب عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمرا[1]

وقال أوس بن حجر في الافتخار بالسيف والقوس:

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدمـا رأيت لها نابا من الشر أعصلا

وأبيـــض هنـديـاً كـأن غـــراره تـلألـؤ برق فتي حـي تهلـلا

وان شدَّ فيها النزع أدبر مهمهـا إلى منتهى من عجسها ثم اقبلا

فذاك عتادي في الحروب إذا التقت وأردف بأس من حروب وأعجلا [2]

لقد أصبحت قيمة الشجاعة عند العرب مضرب الأمثال في تحقيق الحرية، والحفاظ على الكرامة والمسارعة إلى الحرب والقتال فيها، وتعلم روح الصبر والتغلب على الشدائد بكلّ قوة وعزم وثبات، غايتهم الوحيدة في ذلك هي تحقيق النصر أو الفخر بالقوة والشهامة، ولعلَّ أصدق شعر لنا في ذلك قول امرؤ القيس مفتخرا بنفسه وشجاعته:

ووادٍ كجوف العيـر قفـرٍ قطعتُهُ بهِ الذئبَ يعوي كالخليـعِ المُعي

فقلت له لـما عـوى: إن شأننـا قليلُ الغنـى إن كنـت لمـا تمـول

كلانـا إذ ما نـالَ شيئًـا أفـاتَـه ومن يحترثْ حرثي وحرثك يهُزلِ[1]

---

[1] سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، ص18.

[2] المرجع نفسه، ص 9.

ويقول أيضا ممتدحا بالفروسية والشجاعة، ويساعده فرسه القوي الذي وصفه وصفا دقيقا في سرعته و قوته:

وقد أغتدي والطَّير في وُكناتِها بمنجردٍ قيـــد الأوابـدِ هيـكــلِ

مكِـرَّ مفـرِّ مقبـلٍ مدبرٍ معًـا كجلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ[2]

وعلى نحو مماثل من شعر الفخر بالشجاعة الفائقة والشخصية المميزة والشمائل الحميدة، قول طرفة مدويا بفخره الذاتي في قطع الصحاري التي لا يقدر عليها إلا الشجاع القوي، والتي يجزع منها الناس لما يخشونه من الهلاك الذي يتعرضون له فيها فيقول:

أنا الرجل الضرب الذي تعرفُونَه خشاش كرأس الحية المتوقـّدِ

فآليتُ لا ينفك كشحـي بطانــة لعضـبٍ رقيـق الشفرتينِ مهنَّـد

حسامٍ إذا ما قمتُ منتصرًا بـه كفى العودَ منه البدءُ ليسَ بِمعْضَدِ

إذا ابتدر القوم السلاح وجدَتني منيعـًا إذا بلت بقائمـه يـدي [3]

وفي افتخاره بأنَّه قائد المعارك وبطلها، وأن صفة الشجاعة مقرونة باسمه يقول:

ألا أيّها اللَّائمي أحضُر الوغى وأن أشهد اللّذاتِ هل أنت مخلدي

---

(1) أبي عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، تقديم: عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، ط1425هـ 2004م، ص47و48.

(2) المرجع نفسه ص 49و50.

(3) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 101، 102.

فإن كنت لا تستطيعُ دفعَ منيَّتي فدعني أبادِرْها بمـا ملكت يدي [1]

وخلاصة القول أنَّ الشعر العربي قدم لنا صورة واضحة عن الشجاعة برزت في سائر أيام حياة العربي سواء في الحرب أو في إدراك الثار أو في الحياة الطبيعية تقوم أساسا على رفض الجبن و التحلي بالقوة و البطولة و الوقوف في وجه العدو و التصدي له بكل شكل من الأشكال.

1-3- الوفاء:

من أهم القيم الخلقية التي برزت في المجتمع العربي والتي سعى الإنسان إلى التحلي بها والدعوة إلى تحقيقها ، ولا ريب في أنَّ الشعر كان الوسيلة الفنية الصادقة لتسجيل أهمية هذه القيمة وتبيين مدى سعي الفرد لبلوغها حيث ظهر ذلك جليًا في مدحه لمن يتحلى بها جاعلا منها مَأْثرةً من المآثر الكبرى و مَكْرَمةً من المكرّمات الفاضلة.

لقد عكس الشعر في مواضع كثيرة منه مدى تقدير الإنسان العربي لهذه القيمة والاعتزاز بها بدليل أنَّ العرب في الجاهلية كانوا لا يقدرون شيئا كما يقدرون هذه الصفة، وإذا وعد أحدهم وعدا يجب أن يوفي به حتى لو كان ذلك أعزُّ ما يملك في الدنيا، وفي هذا الصّدد تسابق الشعراء في هذا الميدان والافتحار بمالك هذه الصفة وتقديره و لاقتداء به، فجاء قول الأعشى مفتخرا بنفسه:

---

[1] المرجع نفسه، ص92.

وإنِّـي إذا ما قلـت قولا فعلتـه و لسـت بمخلاف لقولي مبدل

وإنّـي إمرؤ أسـدى إليك أمانـة فـأوف بهـا إن سمِّيت وفيًا[1]

كما قال امرؤ القيس في فخره بكتمان السر والوفاء بحفظه:

إذا المرء لـم يخزن عليه لسانـه فليس على شيء سواه بحزانٍ[2]

و قال يحيى بن زياد:

إذا استقفلت يوما على سرِّ صاحب وثائق نفسي لم يفرّج حجابها[3]

وما هو واضح من خلال هذه الأشعار أنَّ قيمة الوفاء تقتضي نيل رضا الله تعالى بالدَّرجة الأولى، والتحلي بالأخلاق الحميدة واحترام الكلمة الوفية بالدّرجة الثانية، وإذا ما نحن أردنا الحديث عن هذه الصفة فحاتم الطائي في تجسيده لها، والدعوة إلى التحلي بها والافتخار بصاحبها، أفضل مثال للقدوة به، وأنَّ الحديث عن هذه القيمة هو حديث عن حاتم الطائي وله في ذلك أشعار كثيرة منها قوله:

الله يعلم أنِّي ذو مُحافظةٍ ما لم يخُني خليلي يبْتغي بدلاً

فإن تبدَّل ألفاني أخا ثقةٍ عفَّ الخليفة لا نكسًا ولا وكِلا[1]

---

(1) الإنسان في الشعر الجاهلي، ص307.

(2) البحتري، الحماسة، ص303.

(3) المرجع نفسه ،ص304.

« ويروى عن أبي صالح : أنَّ حاتما أوصى عند موته فقال: إنّي أعهدكم من نفسي بثلاث: ما ختلت بجارة لي قطُّ أراودها عن نفسها، ولا اؤتمنت على أمانة إلا قضيتها، ولا أتى أحد من قبلي بسوءة أو قال بسوء.»[2]

وإضافة إلى هذا قال لبيد بن ربيعة مفتخرا بنفسه:

وإن تسألي بي فإنّي إمرؤ أهيـن اللئيم وأحبوا الكريم

وأجزي القروض وفاء بها ببؤسي بئيسا ونعمى نعيما[3]

2- الفخر الجماعي:

إنّ هذا النوع من الفخر يتمركز أساسا حول علاقة الشاعر بقبيلته، وفي شدّة التحامه بها، وترابطه مع أفرادها، فحين عرفت هذه العلاقة التي تجمع بينهم بالعصبية القبلية، وأقرب الناس إليه في ذلك هم قومه لذا نجده يفتخر بهم ويشيد بمدى براعتهم وإصرارهم على ردع العدو وقهرهم له، وبشجاعتهم في الحروب والمعارك التي يخوضونها.

وانطلاقا من هذا فإنَّ الشاعر عندما يفتخر با"لآخر" يركز على مجموعة من العناصر وهي كالتالي:

---

(1) ديوان حاتم الطائي، ص84.

(2) نفس المرجع ، ص 24.

(3) البحتري ،الحماسة ص301.

2-1- الافتخار بالنسب:

يفتخر الشاعر العربي في أشعاره بنسبه إلى قبيلته كما يفتخر بآبائه وأجداده، ومن أهم الشعراء الذين جسَّدو هذه الفكرة، و راحوا يفتخرون بنسبهم إليها عمرو بن كلثوم الذي يقول: "أنا بن كلثوم وجدي عتاب"[1] فهو يعتبر أنَّ لا وجود له دون قبيلته، التي كانت من أشد وأشهر القبائل في الجاهلية،حيث راح يفتخر بانتسابه لها، وبقوة أبناءها في المعارك لأنها حروب كثيرة في الجاهلية من أشهرها حرب البسوس.

وانطلق في ذلك عمرو ابن كلثوم يفتخر بأمجاد قبيلته متحدثًا بلسان قومه في تقديم شجاعتهم و مفاخرهم في قوله:

أبا هند فلا تعجل علينـا وأنضـرنا نخبرك أليـفينـا

بأنّا نوردُ الرايــات بيضا ونصدرهُنَّ حمراء قد روينا

وأيتام لنـا عزٌّ طـــوالٍ عضينا الملك فيها أن ندينا

و سيد معشر قـد توجوه بتاج الملك يحمي المحجرينا

ترئنـا الخيل عائفة عليـه مقلدة أعنتهـا صفونـــا

وقد هرت كلاب لحي منَّـا وشذبنـا قتادة من يلينا[2]

---

[1] فاروق أحمد سليم ،الانتماء في الشعر الجاهلي، من منشورات اتحاد الكتاب العربي ،1998،ص29

[2] علي الجندي، عيون الشعر العربي القديم، المعلقات السبع، الجزء الأول، دار غريب للطباعة والنشر، سنة2000، ص215 ،216 .

وهنا يستعرض الشاعر قوة وجأش قبيلته متحديا عمر بن هند الملك المشهور بالعنف مخاطبا إياه أن يتمهل قبل التقدم إلى قومه ويواصل التغني بمجد قبيلته قائلا:

متى ننقل إلى قوم رحانا يكون في اللقاء فيها طحينا

يكون ثقالها شقي نجد ولهوتها فضاعة أجمعين

ونحن إذا عماد لحى خرت على الأحفاض نمنع من يليتا

ندافع عنهم الأعداء قدما وتحمل عنهم ماحمّلونا [1]

و في ما قاله لبيد بن ربيعة مفتخرًا بنسبه وأمجاد قومه:

تأوى إلى الأطناب كل رذية مثل البلية قالص أهدامها

ويكلّلون إذا الرياح تناوحت خلجًا تمد شوارع أيتامها

إنَّا إذا التقت المجامع لم يزل منَّا لزاز عظيمة حشامها

ومقسّم يعطي العشيرة حقها ومغذمرٌ لحقوقها هضامها

والشاعر لبيد ابن ربيعة في هذا من أهم الشعراء المخضرمين، الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، يعتبر قبيلته بمثابة ملجأ للفقراء والمساكين، ويتغنى بكرمها وعطائها لكل من قصدها، كما يشيد بشجاعتها وقوة أبطالها الذين يعطون قبيلتهم حقها دون انتظار مقابل منها.

[1] المرجع انفسه، ص216.

2-2-الافتخار بقوة القبيلة:

"على الرغم من صعوبة الفصل بين الفخر الذاتي والجماعي في الشعر الجاهلي عامة، إلّا أنَّه هناك من يقسّمه إلى قسمين غير متباعدين ولا متناقضين، الفخر الذاتي والفخر القبلي، وهذا الأخير هو النوع الأكثر ذيوعاً وانتشاراً في البيئة الجاهلية خاصة، وهو ذلك الفخر الذي يشيد به الشاعر بقبيلته من حيث مكانتها وعلو شأنها وشجاعة أبنائها وتمرسهم في القتال، وينسبهم في ذلك أنبل القيم الإنسانية، وأفضل الخصال الحميدة في زمن السلم، وأهم القيم الفروسية في زمن الحرب فيمثل الشاعر بذلك لسان حال قبيلته في الإشادة بتلك القيم.[1]

حيث أنَّ الشاعر العربي لم يكتفي بالافتخار بنسبه فقط بل راح يتغنى و يفتخر أيضا بقوة قبيلته و عزَّتها، من أشهر الشعراء الذين افتخروا بقبائلهم و اعتزوا بقوة قومهم حيان بن ربيعة الطائي حيث يقول :

لقد علمت القبائل أنَّ قومي ذو وجيد إذا لبس الحديد

وان نعم أحلاس القوافي إذا استعر التنافر والنشيد

و أنا ضرب الملحاء حتى توالي و السيوف لنا شهود[2]

وأيضا من جيد شعر الفخر الجماعي بقوة القوم والقبيلة وذوبان الكيان الفردي في

---

[1] بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001،ص

[2] د يحى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، ص64.

الكيان الجماعي ما قاله حسان نشبة العدوي التيمي:

أتاني فلم أسررْ به حين جاءني حديث بأعلى القُنتين عجيبُ

تصاممته لما أتاني يقينه و أفرغ منه مخطئٌ و مصيب

وحدّثتُ قومي أحدَث الدّهر فيهم وعهدهم بالحديثات قريبٌ

فإن يكُ حقًا ما أتاني فإنَّهم كرام إذا ما النائبات تنوب

فقيرهم مبدي الغنى وغنيُّهم له ورق للسائلين رطيب

إذا رنّقت أخلاق قومٍ مصيبة تصفى لها أخلاقهم و تطيب[1]

وبالإضافة إلى هاذين الشاعرين نجد شعراء آخرين يفتخرون بأبناء قبيلتهم الذين ينتمون إليها وبمدى كرمهم وشجاعتهم ومن جيد الفخر وروائعه ما قاله وداك بن سنان بن ثميل المازني في قومه بني مازن لما أراد بنو شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له سفوان وفي هذا الفخر نجد الشعر الرائق والجيد السبك، لما فيه من بهاء النظم والحماسة ما يغري بالا عجاب يقول:

رُويدَ بني شيبانَ بغض وعيدكم تُلاقوا غدًا خيلي علي سفوانِ

تلاقوا جيادًا لا تحيد عن الوغي إذا ما غدت في المأزق المتداني

عليها الكماةُ العز من آلِ مازنٍ ليوثُ طعانٍ عند كل طعان

تلاقوهم إذا تعرفوا كيف صبرهم على ما جنت فيهم يد الحدثان

---

[1] المرجع نفسه ص76

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعائم لأيــة حــربٍ أم مكـــان [1]

2-3- الافتخار بمجد القبيلة وعزّتها:

بما أن الشعر هو الوسيلة الأولى للتعبير عن مكانة القبيلة بين جاراتها، فالشعراء هنا بذلوا كلّ ما في وسعهم لأن يأتوا بما لم يأت به غيرهم، في مجال التفاخر بقوتها وعظمتها والإعلاء من شأنها، وراح الشاعر في ذلك يفتخر بما حصلت عليه قبيلته من مجد وعزة وما تمتلكه من قوة وشجاعة في مواجهتها لأعدائها وتحقيق النصر في حروبها، ولعل أبرز دواعي هذا الفخر الذي مثل أيام هذه القبائل متأت من الإحساس بنشوة النصر والربح، وما تحدثه هذه النشوة من زهو وخيلاء في نفوسهم.

وفي هذا النوع من الفخر قال الشاعر أبوا فارس الحمداني يقول مفتخرا بقومه:

لعلّ خيالض العامريَّة زائـرُ فيسعَدَ مهجوٌر و يسعد هاجر[2]

كما يعتبر في ذلك أن قومه من أصحاب الكرم و المجد قائلا:

لَئنْ حلق الأنام لحَسوِ كاسر ومزمـار و طنبـورٍ و عـود

فلمْ يُخلق بنـو حمـدان إلَّا لمجـدٍ أو لبأسٍ أو لجُـودٍ[3]

وما يمكن أن ننهي الحديث به أنّ غرض الفخر في الشعر العربي هو غرض فطري، مولود بالفطرة مع الإنسان، لم يتغير في معظم العصور فالكلّ كان يفخر بشجاعته وقوته وعظمة

---

[1] يحيى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، ص64

[2] حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة،ص34.

[3] نفس المرجع ص34.

أخلاقه وخصاله وجودته وعطائه مع الناس، سواءا أكان هذا الفخر ذاتيا أو جماعيا.يهدف إلى الإعلاء بمكانته والرفع من شأنه.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تجليات الأنا والآخر في فخريات عنترة

من نافلة القول الإشارة إلى أنَّ الإنتاج الأدبي شعرا أو نثرا، يتضمن تداخلا بين الذات والآخر، وبحكم هذا التداخل رأينا في دراستنا هذه أنَّ للشعر العربي القديم عامة وشعر عنترة بن شداد خاصة ميزة أساسية تأخذ دورها في تحقيق هذا الترابط إيمانا بوجود علاقة جدلية بينهما تختار مسلكا عميقا في البحث عن أنا الشاعر وتعني بذلك علاقته بالآخر وارتباطه بها، وعلى هذا الأساس« مثّل عنترة بن شداد سيرة شعبية فردية من خلال شعره الذي صوّر في مجمله حياة فارس مغمور أجحفته القبيلة حقه، وهضمه أبوه حق نسبه الطبيعي،إرضاء لأعراف اجتماعية جائرة، وتقاليد قاسية، فثار هذا الفارس على تلك القيم التي أنزلته منزلة العبيد، وراح يجهد النَّفس، ويغامر بحياته ليتبوأ منزلة السيد الحر بين قومه، ووسيلته في ذلك شعر أصيل ينمّ على قدرة فنية في نقل ما يحسّه بأسلوب شاعري عذب مؤثّر، يعبِّر فيه عن شجاعة وإقدام نادرين عُرف بهما بين الناس طوال أيام حياته الحافلة بالمغامرات والصعاب، حيث استعملها دون تردّد في درء الأخطار ومواجهة الأعداء، في حين دلّت أخلاقه الكريمة على طيب منبته وشيم ذوي النفوس الكبيرة.»[1]

"وانطلق عنترة في مواجهة مأساته الاجتماعية من الواقع، ولم يحبّذ الهروب إلى الوراء في تلك المواجهة، بل عمد إلى إثبات الذات داخل الكيان الاجتماعي الذي رفضه، وأنكر

---

[1] بوجمعة بوبعيو: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق،2001، ص87.

حضوره ضمن الأسياد، وحجتنا في ذلك أنَّ هذا الشاعر الفارس كان يمكنه أن يختار عالم الصعلكة مثلاً أسوة بغيره من الشعراء الفرسان الصعاليك، ولكنَّه اختار سبيلاً آخر في مواجهة مشكلته، إذ ظل يصارع المظالم التي سُلطت عليه دونما فرار أو مقاطعة ليعيد اعتباره واعتبار أخوته بين قومه وعشيرته."[1]

وقد برع شاعرنا عنترة في تصوير الحالات الإنسانية والوجدانية في قصائده والتغني بمجموعة من الخصال الحميدة والقيم الرفيعة التي ميزته عن غيره فكان يتحدث عن كرمه الفياض، ووفائه وحلمه، وعزته وصبره على الشدائد، وإغاثته للجار، وحفاظه على العهد، فصوَّر لنا بطولته وشجاعته في أبهى الصور، وأجمل أقوال، التي كان الفخر والاعتزاز من أسماها فعلاً، وأنبلها معنا، لما حمله من أبعاد روحية وإنسانية ومعاني كريمة وصادقة وإحساسٍ عالٍ.

وبرز عنده الفخر في مكانين: الأول عبَّر فيه عن ذاته حيث كان يشيّد بنفسه وفضائله وما حملته النفس من مكرماتٍ ووجدانيات، أمَّا الثاني فاتخذ شكلا آخر من خلال اعتزاز الشاعر بالآخر متمثلا في فخره بقبيلتهِ وانتمائه لأهلهِ.

[1] بوجمعة بوبعيو: جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة،ص 88.

نبذة عن شاعرنا عنترة:

هو عنترة بن شداد العبسي أحد فرسان العرب المشهورين بالشجاعة والقوة، ومن أصحاب المعلقات.

أمه كانت أمة حبشية يقال لها زبيبة، من الإماء لذا كان هو من عبيد قومه، لكن سرعان ما اعترف به أبوه لبسالته وشجاعته، «وكان السبب في ذلك أنَّ بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس، فأصابوا منهم فتبعهم العبسيون، فلحقوهم فقاتلوهم عمَّا معهم، وكان عنترة فيهم، فقال له أبوه: كُرَّ يا عنترة فقال عنترةُ: العَبْدُ لا يُحسِنُ الكَرَّ، إنَّما يُحسِن الحِلابَ والصَّرَّ، فقال: كُرَّ وأنت حُرٌّ. فكرَّ وقاتل يومئذ فأبلى واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة، فادَّعاه أبوه بعد ذلك.»[1]

وكان عنترة من أشدّ أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده، ولا يقول من الشعر إلاَّ البيتين والثلاثة حتَّى سابه رجل من بني عبس فذكر سواده وسواد أمّه وإخوته وعيَّره بذلك وبأنَّه لا يقول الشعر. فقال له عنترة: والله إنَّ الناس ليترافدون بالطُّعمة فما حضرتَ أنت ولا أبوك ولا جدُّك قطُّ، وإنَّ الناس ليُدعَوْن في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيناك في خيل مغيرة في أوائل الناس قطُّ، وإنَّ اللَّبس ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطَّة فيصل،

[1] أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق:الشيخ حسن تميم، دار حياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ - 1987م ص153.

وإنَّما أنت فقعٌ نبت بقرقر وإنِّي لأحتضر البأس وأوفي المغنم وأعِفُّ عند المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطَّة، وأمَّا الشعر فستعلم.»[1]

ومنطلقا من هذا عد عنترة من أبرز شعراء العرب وأكثرهم تناولا للإبداعات الشعرية، لثراء شخصيته، وسعة تجربته واحتوائها على الكثير من التّفاصيل الإنسانية بالإضافة إلى سماته النفسية والجسمية، فهو من أحسن قومه شيمة وأعزهم نفسًا في قدرته وشدة بطشه على إنشاد الشعر وإعطائه رقة وعذوبة لا يبلغها شاعر آخر.

ولعلّ السبب الرئيسي الذي دفع شاعرنا لإطلاق العنان للسانه، والتغني بأمجاده هو المعاناة والظروف القاسية التي نشأ فيها، فدفعته بذلك إنسانيته الطاغية وفروسيته العالية إلى ذيوع صوته وإعلاء شهرته عبر الزمان والمكان.

«وإنَّنا ونحن نقرأ شعر عنترة نشعر أنَّنا أمام امرأة هي أشبه شيء بهيلانة التي كانت سبب الحرب بين الإغريق وطروادة، وأنَّنا أمام عبلة يثور لأجلها البطل العربي، ويحارب في سبيلها، ويسفك الدماء أنهارا، وأنَّنا أمام بطل هو أشبه شيء بأخيل طيار الحطى، الذي يعتزل الحرب لخلاف نشب بينه وبين أغا ممنون ويترك قومه عرضة للتلف، وأننا أمام عنترة يعتزل الحرب لخلاف نشب بينه وبين قبيلته، لخلاف مرده أنَّ عنترة ابن امة لا يحق له الانتساب إلى قبيلته ولا يحق له الاقتران بابنة عمه، ولا يحق له أن يكون حرا، ولكن لما اشتدَّ الأمر على عبس وكاد يدركهم التلف صاحوا به " ويك عنترة أقدم" فيقدم عنترة حرا،

[1] أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص154.

ويبدد جيوش الأعداء، وينشر الذعر في البلاد، على جواد يكاد يتكلم، وبسيف يجزُّ الرؤوس، ورمح يخترق الصدور، ويطير القلوب.»[1]

وترى في عنترة جميع هذه الصفات التي كان يتحلى بها فرسان القرون الوسطى من شجاعة وشرف وقتال في سبيل هدف أعلى، ومناصرة للضعيف وحب شديد عنيف لفتاة كريمة يعمل جهده لإرضائها. وانطلاقا من هذه القريحة انطلق شاعرنا ينظِّم الشعر ويخصه في جميع الأغراض، وكان هدفه الوحيد في ذلك هو إعلاء نفسه وتعظيم شأنه ليعوض حالة النقص التي كان يتضارب وجدانه فيها وموقف القوم الذي كان يشعر ويحس به. فراح بذلك يعتز بنفسه ويعطيها مكانة تعلى وتسمو بها النفس ويتخذ منها بذلك قومه قدوة لهم وكان غرض الفخر عنصرا هاما اعتمد عليه في نهج معظم أشعاره.

وإنَّ أول ما يصادفنا في فخرياته عامة هي أنَّها مرتبطة نفسيا بوجوده الشخصي وهذا أمر واضح لا غرابة فيه لأنَّ طبيعة حياة هذا البطل الشجاع الذي عاش عبدا غير معترف به والذي كان يسعى جاهدا في سبيل نيل حريته حتمَا سيسعى بجهد إلى نيل إعجاب الآخرين به وإلزامهم تقديره وتعظيمه، فكان حقا عليه أن يرسم صورة صادقة عن إحساساته الداخلية لكي يشعروا به ويقدروا ما له من فضل عليهم.

[1] حنّا الفاخوري، الفخر والحماسة، ص77.

ومن البديهي في هذا أنَّ شاعرنا قد سعى جاهدا إلى أن يصبح حديث الناس في شجاعته واستطاع في ذلك أن يرسم لنا صورة حقيقية عن إحساساته الداخلية وآلامه النفسية، في مظهر يجمع فيه بين الاعتزاز بالنفس والأسى عليها، وبين بيان فضلها وتعداد مكانتها، فراح يصوغ كلَّ هذه الإحساسات في فخريات يحاول أن يعبر بها عن ذاته بوصفه فردا من جهة، ومن جهة أخرى يحاول أن يثبت نسبه وتحقيق حريته في أنَّه فرد من أفراد مجتمعه.

وفي هذا يمكن أن نميز بين ظاهرتان واضحتان في شعر عنترة يفخر بهما:

الأولى: ظاهرة الاعتزاز بالنَّفس والتغني بالبطولة الشخصية فيها وتصوير المفاخر الفردية التي حققتها.

ثانيهما: الاعتزاز بالقبيلة وتصوير مفاخرها وبيان عظمتها وعظمة فرسانها.

«وأمَّا الظاهرة الأولى وهي الاعتزاز بالنفس والأنا فإنَّنا نلحظها ونجدها في شعر عنترة كافة، فليس هناك من قصيدة له إلا وتحدث فيها عن نفسه ووصف فيها مغامراته وبطولاته، وهي الصفة التي تطبع شعره بأنَّه شعر غنائي في أكثر أقسامه، يعني بالذات وتسجيل حوادثها الكثيرة التي تتجدد مع تجدد الليل والنهار فنجده في كثير من الأحيان يحدثنا في أكثر من موضع عن لقائه مع الأبطال والأقران وكيف أنَّه استطاع التغلب والفوز عليهم.»[1]

[1] محمد سعيد ملوي، ديوان عنترة، المكتب الإسلامي، ص104.

المبحث الأول: الفخر بـ"الأنا" وتعظيمها:

إنَّ العربي بطبعه ميال إلى التعالي والمباهاة بروحه، شديد الاندفاع بما في نفسه من نزعات، والتغني بما فيها من حسنات.

ومنطلقا من هذا فإنَّ الفخر بالأنا والاعتزاز بها من أدلِّ فنون الأدب على فطرة الإنسان، فهو في مفهومه العام صدى تتطلع فيه النَّفس فيها إلى ذاتها. وبصيغة أخرى فإنَّ هذه السمة تمثلت عند شاعرنا في ما دار حول نفسيته وتعداد محاسنها وفضائلها والاندفاع إلى التعالي والافتخار بها. وإنَّنا ونحن نقرأ بعض أشعاره نلحظ من النظرة الأولى بأنَّ سمة الفخر سكنت أعماق نفسه وعزَّزت فيها مفهوم "الأنا" في أكثر من صورة أكسبته صفات بطولية يرمي الوصول إليها تارة وإثبات نسب وتحقيق حرية تارة أخرى.

1 – الافتخار باللون الأسود:

من الطبيعي أنَّ الموضوعات التي يتعرض لها الشاعر الأسود تختلف وجودا وعدما، وقوة وضعفا، عن الموضوعات التي يتعرض لها غير الشاعر الأسود، لأنَّ طبيعة الحياة من حوله وطبيعة وجوده في عالم لا ينتمي إليه تماما، دفعتهم إلى إتّباع نهج شعري خاص، يفخرون فيه بأنفسهم، وتعويض النُّقص الذي يعتريهم، ذلك لأنَّهم كانوا طبقة مهانة ومطحونة، ولأنَّهم كانوا يذادون بالعنف مرة، وباللَّين مرة أخرى، وهكذا عاشوا على هامش هذا المجتمع طبقة مهانة، ومدموغة في الوقت نفسه بالسَّواد،فهم لا يعترف بهم إلاَّ تحت ضغط ثقيل على نحو ما نراه من حياة عنترة، ومع أنَّ هذا الشاعر كان حامي قبيلته وكان صوتها الشعري

الرائع، إلاَّ أنَّ النَّظرة إليه حتى من قبيلته ظلَّت تعذبه وترهق نفسه فقد ظلَّت كلمة "ابن السوداء تلاحقه" حتى وهو عائد من الحرب بالانتصار.[1]

وهو من جراء هذا الإحساس فجر قريحته ضدَّ قومه، وأنشد في ذلك قصائد ومقطوعات يفخر فيها بلونه، ويعظّم فيها من شأنه، فراح يفخر بنفسه وبلونه في أكثر من موضع، ولقد مثلت عقدة اللون عنده ظاهرة التحول، من الفخر بالجمع إلى الفخر بالأنا الفردية والاعتزاز والتعالي بها، وأروع قول شعري لنا في فخره هذا قوله:

لئِن أكُ أسوداَ فالمِسْكُ لونِي وما لِسواد جِلدي من دواءِ

ولكـن تَبعدُ الفحشاءُ عنّي كبُعد الأرض عن جو السماءِ[2]

والواضح في هذه الأبيات أنَّ عنترة صرَّح بسواد لونه في مطلع البيت، للدلالة على اقتناعه به، ومهما يكن من أمر فإنَّه يعترف به ويرى بأنَّه مفخرة له أمام قومه، ويتحدى كل اعتقاداتهم في نظرتهم إلى سواد لونه، شاهرا صوته، بأنَّ المسك لونه، وسواد جلده ما هو إلَّا دليل على حسن خلقه وخصاله، كما أنَّ سواده في ذلك ليس كسواد غيره بل هو مختلف عنه ليس له دواء.

---

[1] ينظر،عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)،2001، ص261.

[2] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، سنة2009، ص8.

وانطلاقا من هذا راح شاعرنا يعبر عن لونه في أروع الأقوال ويعتز به ويلحقه بصفات البطولة ويرى في ذلك بأنَّه من صفات الشجاعة والمروءة.

وقال أيضا:

ما ساءني لوني وإسمُ زبيبةٍ إذ قصَّرت عن هّمتي أعدائي

فلئن بقيتُ لأصنعنَّ عجائباً لأبكمنَّ بلاغة الفصحاء[1]

لقد أعطت عقدة اللَّون في شعر عنترة طابع النّظال والقوة، ويظهر ذلك في المقطع الأول من البيت، حيث تعلو" أنا" الشاعر وتقف أمام "الآخر" متحديًا فيها قومه في افتخاره بسواد لونه واسم أمه وانتسابه إليها، ويظهر ذلك أيضا في قوله: "ما ساءني لوني" أي أنَّ لونه لم يعبه على قوته ولم يقصِّر من شجاعته أمام أعدائه، حيث عظَّم الشاعر من أناه في هذا الموضع وضخمها وأعطاها طابعًا قويًا يلاحظه القارئ لأبياته، فهولا ينكر اسمه ولا نسبه إلى أمه زبيبة ولا لونه.

وقال في موضع آخر مفتخرًا بلونه وسواد جلده:

وإن كان جلدي يرى اسودًا فلي في المكارم عزٌّ ورتبه

ولوصَلَّت العرب يوم الوغى لأبطالها كنت للعرب كعبه[2]

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة، ص8.

[2] المرجع نفسه، ص10.

تعيّرني العِدَا بِسواد جلْدي وبيضُ خَصائلي تمحُو السَّوادا[1]

يعِيبُون لونـي بالسَّواد وإنَّمـا فِعالُهم بالخُبثِ أسْودُ من جلدي[2]

سوادي بياضٌ حين تبدُو شَمائلي وفعلي على الأنسابِ يزهو ويَفخر[3]

يعيبون لونـي بالسَّواد جهالـةً ولولا سوادُ اللَّيل ما طلع الفجرُ

وإن كان لوني أسودٌ فخصائلي بياضٌ ومن كفِّيَّ يُسْتَنْزَلُ القَطر

محوت بذكري في الورى ذكر من مضى وسُدْت فلا زيدُ يُقالُ ولا عمرو[4]

وفخر عنترة في هذه الأبيات فخر عالي قوي، يتداخله القهر والإحساس بالظلم، حيث نراه يحاول حجب اهتمام قومه بسواد لونه في التركيز على الافتخار بمحاسنه، والإعلاء بخصاله الكريمة، ويصف في ذلك من يعيّروه بسواده بالأعداء حتى لو كانوا من أبناء قبيلته، ويلصقهم صفات القبح والعيب، ويرى بأنَّ خصالهم وفعالهم أسود من جلده، وهذا من أجمل صور تأكيد انفصال "أنا" الشاعر عن "الآخر" القبيلة، حيث تعلو ذاتية عنترة هنا وتعتزُّ بسواد لونه، ودليله في ذلك أنَّه حتى لو كان جلده أسودًا إلَّا أنَّ صفاته وخصاله لا ينافسه فيها أحد، في العز والكرامة، وحتى وإن عيَّروه بسواد لونه فإنَّ بيضَ خصاله وشيمه ستمحو ذلك السَّواد،

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة، ص46.

[2] المرجع نفسه ص 50.

[3] المرجع نفسه ص66.

[4] المرجع نفسه ص 72.

فليس السواد عيب، ولا اللَّون قيمة يقاس بها المرء، ودليله في ذلك أنَّه لولا سواد اللَّيل لما طلع النَّهار.

كما أنَّ عنترة أدرك كلَّ الإدراك، أنَّه رغم حصوله على حريته، إلاَّ أنَّه لم يغير من نظرة قومه إلى العبد الأسود، وهذا ما أوضحه في معظم أبياته، حيث ظلَّ يتغنى بمنزلة العبد الأسود، ويتصدى لمفاهيم القبيلة التي تحطُّ من منزلته من أجل لونه، ويذكرهم بأنَّه هو المدافع والحامي عنهم وقت الشدة وفي اشتداد الحرب والوغى، وقد كان عزمه وإصراره على المفاخرة بسواد لونه يفي قوله:"أنا الأسود والعبد" تأكيدٌ تامٌ على فخره بنفسه والإشادة بخصاله والافتخار بفعاله التي تغلب على لونه حيث قال:

وأنـا الأسـودُ والعبـدُ الذي يقصِدُ الخيل إذا النَّقـع ارتفـع

نسبتي سيفي ورُمحِـي وهمـا يؤنسانـي كلَّمـا اشتـدَّ الفزع[1]

وإن يُعيبوا سوادا قد كسيت بـه فالدُّرُّ يستُره ثوبٌ من الصَّدف [2]

شبيهُ الليل لونـي غيـرَ أنِّـي بفعلي من بياضُ الصُّبح أسني[3]

وأنا المنيَّـة وابن كـل منيةٍ وسواد جلدي ثوبهـا ورداها [1]

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة، ص80.

[2] المرجع نفسه ص88.

[3] المرجع نفسه ص145.

لقد ذهب عنترة بن شداد إلى الافتخار بلونه وسواد جلده، ورأى في ذلك بأنَّ تمتعه بهذه الصفة ما هو إلاَّ دليل على تفرده عن أبناء قومه، فانطلق في هذا يعدِّد ذاته ويتعالى بها ويفخر بأجمل صفاتها وكان اللَّون الأسود من أبهى افتخاراته.

وإنَّ استخدام عنترة بن شداد للضمير "أنا" أو صيغة المتكلم "إنِّي" في أكثر من بيت ليس إلَّا دليلا منه على إيمانه بقيمته وعظمته ضدَّ الآخر الذي ظلمه، وإنَّ "أنا" الشاعر في هذا تحمل نبرة التَّعالي الواضحة والاعتداد بالنفس في تضخيم الذات، وتفخيمها، والإعلاء بالصوت في الافتخار بها، بقصد تحدي القوم الذي عابه على سواد لونه، حيث حاول في ذلك طمس معالم هذا "الآخر" بالافتخار بذاتيته وحده، وعلَّل هذا الفخر بقوةٍ وشجاعته وإقدامه في خوض المنايا، وأنَّ سواد جلده في هذا ما هو إلَّا ثوب ورداء لهذه الحروب، فهو يتحول إلى بطل شجاع يبطش بالعدُّو، ويخضع له الناس في الحروب والمعارك، وبطولاته ومكارم أفعاله وخصال صفاته تغطي على سواد جلده ولونه فيها.

---

(1) المرجع نفسه ص155.

2 – "الأنا" الشجاعة:

تعدَّدت الأخبار والأقوال عن فروسية وشجاعة عنترة ابن شداد، لكنَّها في مجملها تلتقي في نقطة واحدة، هي أنَّ هذه الفروسية والشجاعة لم تكن عبئًا عليه، وإنَّما هي جاءت نتيجة الخبرة الطويلة التي اكتسبها في القتال، والتي أكسبته شهرته وسط قومه.

«إذ قيل له: أنت أشجع الناس وأشدها؟ قال: لا، قيل: فيم إذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزما، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزما، ولا أدخل موضعا لا أرى لي منه مخرجًا، وكنت أعتمد الضَّعيف الجبان فأضربه الضَّربة الهائلة، التي يطير لها قلب الشجاع، فأثني عليه فأقبله.» [1]

«وإذا ما نحن مررنا بأيام داحس والغبراء وجدنا عنترة من أشدِّ أبطالها، يخلدها بشعره، ويصف حوادثها مفتخرا بنفسه، فإذا احتدمت معركة ذات الجراجر، كان من الشجعان الأبطال الذين يشار إليهم بالبنان، وإذا اضطرمت نار يوم عراعر تحدَّث عن ذلك اليوم، وما أورثه في النفس من برد الثأر وراحة الانتقام، وإذا حما وطبس يوم الفروق فخر بمنبع نساء القبيلة وقوته بينهم.»[2]

ومنطلقا من هذا نظَّم شاعرنا قصائد طوالا يفخر فيها بنفسه، ويعظم فيها من شأنه، وكانت الشجاعة في ذلك عنصرا هاما يسير على دربه، ليرفع به مكانته وسط قومه، وفي هذا

---

[1] محمد سعيد ملوي، ديوان عنترة، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص34.

الشأن تغنَّى عنترة بشجاعته، مصورًا نفسه فارسا شجاعا لا يهاب الموت يتصدى للفوارس الشجعان ولا يخشى أحدًا فيقول:

أنا العَـبدُ الذي يلقى المَنـايا غداةَ الرَّوْع لا يخشى المَحاقا

أكُرُّ على الفَوارس يوم حـرْب ولا أخشـى المهَنَّدةَ الرّقاقـا

وإنِّـي أعشَقُ السُّمْر العوالـي وغيري يعشَقُ البِيضَ الرّشاقا

وكاسـات الأسنة لـي شراب ألذُّ بـه اصطحابـا واغْتباقا[1]

والواضح في هذا أنَّ عنترة لم يكن أمامه وسيلة أمام قومه، إلاَّ رفض الواقع المعاش والكفاح فيه من أجل إثبات ذاته، وتحقيق وجوده، مسخرا كلَّ إمكانياته وقدراته في سبيل نيل حريته، وهذا ما جعله رافضا للموت، مندفعًا ضدَّ "الآخر"، لا يخشى الموت ولا الأعداء، و إنَّ تكراره لضمير المتكلم "أنا" في كلّ بيت يدلُّ على استحقاقه الشرف والعزة وسط قومه، فراح يفخر بنفسه، وأفْرَدَ عليها صفات البطولة والشَّجاعة في خوضه المنايا والحروب والإغارة على الأعداء دون خوف.

كما قال أيضا:

أنا فــي الحــرب العوانِ غيــرَ مجهــول المكــانِ

أينمـا نــادى المنــادي فــي دجى النَّقــع يَرَانــي

(1) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة ص94.

إنَّنـــي أطعــن خصمــي و وهــو يقضـــانُ الجنـــانِ

إنَّننـــــي ليـثٌ عبُـــوسٌ ليـــس فـــي الخـــلْق ثـان

خلـــق الرُّمْـــح لكـــفِّي والحســـام الهنْدُوانـــــي[1]

والملاحظ في هذه الأبيات الشّعرية أنَّ عنترة حرص كلّ الحرص على توظيف مجموعة من الصفات البطولية، تمثلت في أخلاقٍ وتعابيرٍ موحيةٍ، تؤكد على اعتداده بنفسه وعظمته وسط قومه، ويظهر ذلك في تكراره لكلمة "أنا" و" إنَّني" في أكثر من موضع وهذا جاء نتيجة إحساسه العميق بقوته وشجاعته، وما يمكننا ملاحظته في هذا أنَّ "أنا" الشاعر هنا متأصّلة في نفسه، وشعره جاء لتبين مدى قوته في الحرب وتأكيد حسن بلائِه فيها، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه الأبيات توحي بشدة إلى رغبة عنترة في أن يعيش عزيزا كريما، مدركا أنَّ الحياة التي يطمح ويسعى إليها لا يمكن أن تتحقق إلاَّ بالشجاعة والقوة، ومؤمنا بأنَّ لا عزَّ بلا بطولة، ولا بطولة بلا قوة وشجاعة.

حيث اعتمد عنترة في هذه الأبيات على قوته، في تحقيق وجوده وسط مجتمع ظلمه، وظلم من مثله، حتى أصبحت شجاعته وقوته وسيلته له لتحقيق مكانته وسطهم، فخوض المعارك والنصر فيها، هو الذي يجعل قومه يخرجونه من دائرة العبودية، ليدخل دائرة الحرية، ولكنه رغم كلّ هذا يكون العوان لهم إذا ما هم احتاجوا إليه، حيث أنَّه شبّه نفسه

[1] المرجع نفسه، ص140.

باللَّيث في العبوس، لكنَّه أفرد نفسه في الخلق عنه، فهو الحامي عن أعراض قبيلته إذا ما نادى المنادى، وهو العوان لهم في الحرب إذا ما اشتدَّ فيها البلاء.

وقال أيضا في الافتخار بنفسه وشجاعته وقوته في الحروب:

خُلِقتُ من الحديد أشَدُّ قلبا وقدْ بَلي الحديدُ وما بليتُ

وإنِّي قد شربت دَمَ الأعَادي بأقحافِ الرؤوس وما رويت

وفي الحربِ العوانِ ولدتُ طفلا ومن لبنِ المعامعِ قد سُقيتُ

فما للرُّمحِ في جسمي نصيبٌ ولا للسَّيف من أعضَاي قوت

ولي بيتٌ علا فلكَ الثُّريا تخزُّ لِعظْمِ هيبته البُيوت[1]

أنا الموت إلَّا أنني غير صابرٍ على أنفُس الأبطال والموت يصبر

أنا الأسدُ الحامي حِمَى من يلوذ بي وفعلي له وصف إلى الدهر يذكر

إذا ما لقيتُ الموتَ عمَّمْتُ رأسَه بسيف على شُربِ الدِّما يتجوهر[2]

لقد جسَّد عنترة بن شداد في هذه المقاطع صفاته البطولية في أسمى صورها، وعزَّز مفهوم "الأنا" فيها وكرَّره في عدّة صور(أنا الموت،أنا الأسد،أنا الحامي...) لتحمل دلالات متعددة ومختلفة، لكنَّها تؤكد في مجملها على صفات النبل والشرف لديه، والبطولة والقوة في

(1) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص 25.

(2) المرجع نفسه ص66.

حسن البلاء في الحروب وخوض المعارك، حيث انطلق شاعرنا يشقُّ طريق الحرب بالسَّيف والرُّمح، يتحدَّى فيها الموت والبلاء، ويسعى فيها لاكتشاف ذاته، وتأسيسها في عالم يتصدى فيه لكل من يقف في طريقه، لا يخشى ولا يخاف حتى من الموت.

كما قال أيضا في تفرده بالقوة بالبطولة وسط قومه وهويفخر بشجاعته ويعظم من ذاته:

وليـــس سباعُ البرِّ مثل ضباعـه ولا كلُّ من خاضَ العَجاجَة عنتـر[1]

كـم مهمة قفـرٍ بنفسـي خُضتُـه ومفـــاوز جاوزتهـــــا بالأبجـــر

كـم جحفلٍ مثل الضبـــاب هزمتُهُ بمهندٍ مـــاضٍ ورمـــــح أسْمـــر

كـم فـارسٍ بين الصُّفوفِ أخذتـه والخيـــــل تعثرُ بالقتـــا المُتكسرِ[2]

والواضح في هذه المقاطع وخاصة في البيت الأول، أنَّ الفخر سكن أعماق نفس شاعرنا وعزَّز فيه مفهوم "الأنا " في صور متعددة تكسبه صفات بطولية يسعى الوصول فيها إلى صيغة تتلاءم بمقتضاها حقا وصف "الأنا "، ففي قوله: (ليس كلّ من خاض العجاجة عنتر) تأكيد واضح على إفراده القوة والشجاعة لـ"أناه" وحده ورفع قيمتها ضدَّ "الآخر"، وفي قوله أيضا: (كم مهمة بنفسي خضتها) دليل آخر على تأكيده لذاتيته وفخره بنفسه وانفصاله عن "الآخر" انفصالا كليا.

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة، ص67.

[2] المرجع نفسه، ص70.

وقال أيضا:

أنا العبـد الــذي خُبِّرت عنـــه يلاقي فـي الكريهـة ألف حــرٍّ

خلقـت من الحديـــد أشدُّ قلبـا فكيف أخـاف من بيضٍ وسمرٍ

وأبطــش بالكميِّ ولا أبالـــــي وأعلوإلى السَّماك بكـلّ فخـر

ويبصرني الشجـاع يفـرُّ منـــي ويرعش ظهره منـي ويَسْري[1]

أنا العبـد الذي سعدي وجـــدي يفوق عل السُّها في الارتفـــاع

سموت إلى عنـان المجد حتـى علوت ولم أجد في الجوّ ساعي [2]

أنا العبـد الذي خُبِّرت عنـــه وقـد عاينتنـــي فدع السماعـا

ملأت الأرض خوفا من حُسَامـي وخصمي لـم يجد فيها اتساعا[3]

لقد صرح عنترة في هذه الأبيات على تأكيده لذاتيته، في تكراره لقوله: " أنا العبد" ونحن في هذا نتساءل عن ذلك العبد ؟ لكنَّه يجيبنا عن سؤالنا بأنَّه: ذلك العبد الشجاع، القوي القادر على مجابهة ألف من الأحرار، بل هو ذلك العبد الذي خلق من الحديد الصلب، هو ذلك الفارس الحرّ الذي لا يخاف ولا يخشى الحرب والمنايا، ويكرر ذلك أيضا في قوله "أنا

---

[1] ديوان عنترة، ص73.

[2] المرجع نفسه ص 81.

[3] المرجع نفسه ص 84.

العبد الذي يفوق على السها في الارتفاع، والواضح من كلّ هذا أنَّ عبودية الشاعر أمر مؤكد يفخر بها في أسلوب خاص، يلصقها صفات الشجاعة والقوة في الحرب، فمن عادات عنترة أنَّه يملأ الأرض خوفا وذعرا أينما ذهب، وهذه العادة ملازمة له في جميع أحواله لا تفارقه أبدا، وإنَّنا في فخره هذا نلحظ أنَّ كلمة "أنا" هي الضمير الغالب في كلّ هذه الأبيات، تتكرر في كلّ المقاطع، ظاهرةً ومستيرةً في قوله:(أنا العبد، خلقت، أبطش، أعلو، أنا العبد، سموت، علوت...) وكلّها تعود إلى الافتخار بشجاعته، وحسن بلائه في الحروب والمنايا، يسعى فيها للتغني بمقدرته الحربية في دفع الخطر، وحبّه إلى العلو في المجد لإعلاء شأنه ورفع قيمته.

كما أنَّ الافتخار با"لأنا" في شعر عنترة شكَّل عنصرا متميزا، في جميع قصائده، فهي جزء مهم يظهر في مقدماتها، وركن أساسي في أغراضها، وظاهرة بارزة في خواتم قصائده ونهاياتها، ولعلَّ أهمّ فخر وأروعه، ما استدلَّ به لإثبات شجاعته عندما وقع في الأسر، فأطلق في ذلك زفرات الحنين، وآهات الشوق، إلى الأحبَّة فقال:

فخـر الرّجـال سلاسـلٌ وقيـودُ وكذا النسـاءُ بِخَانـقٌ وعقودُ[1]

(1) ديوان عنترة، ص52.

حيث افتخر هنا بالقيود الموجعة، التي تزين عنقه كما تزين الحلي أعناق النساء، ورحَّب بالموت الذي يرى فيه راحة بعد محبوبته، كما أنَّ فخره هنا بالقيود الموجعة، مثال حي تعظيمه لـ"أناه" ورفضه الذلّ، وإنكاره للعبودية.

ويقول أيضا:

إني أنا لَيْثُ العَرين ومن لــه قلــبُ الجبان مُحيَّر مـدهوش

إني لأعجب كيف ينظُر صورتي يـوم القتال مُبارز ويــعيش[1]

ويشير هذا المقطع بشدة إلى افتخار عنترة بقوته وشجاعته، من خلال تعظيمه لصورة نفسه أمام ناظره "الآخر" يوم القتال والمبارزة، بأنَّه ليث العرين، وقلب الأسد، وله من الشجاعة والقوة، القدرة الكافية لإخضاع الجبان تحت سيطرته.

وفيما قيل في باب الحماسة وحمل النفس عن المكروه في الحرب يقول:

بَكَرَت تُخَوّفني الحُتُوف كأنَّني أصبحتُ عن غَرضِ الحتوف بمعزِل

فأجبتهـا إنَّ المنّية منهـــــل لابـُدَّ أن أسقــى بــكأسِ المنهــلِ

فاقنَي حيائك لا أبا لك واعلمي أنّــي امروءُ سأمــوت إن لـم أَقتـل[2]

---

[1] ديوان عنترة،ص 77.

[2] البحتري، الحماسة ص42.

والذي ينظر في قول عنترة في هذه الأبيات، يرى بروز شخصيته بوضوح في معظم أقواله، فهو يرحب بالموت، ويرى بأنَّها منهل لابدَّ له أن يتذوقه، كما يرى أنَّها غاية يريد الوصول إليها، فشاعرنا هنا يمجد بنفسه، ويعظمها في إقرانه الشجاعة باسمه، وتحدي الموت في حياته، والخوض في الحروب والمنايا، بكلّ عزم وشهامة، وفي هذا تجسيدٌ كلّي لصفات الفارس الشجاع، الذي يُقْرِنُ الموت باسمه ويرحب به في أي وقت.

ويقول أيضا مفتخرا بنفسه:

أنا الهِزبرُ إذا خيلُ العِدا طلَعتْ يومَ الوغَى ودماءُ الشُّوسِ تندفق[1]

أنا البطـل الذي خبّرْت عنــه وذِكـري شاع في كـل الآفــاق[2]

ولي في كـل معركة حديــثٌ إذا سمعتْ بــه الأبطــالُ ذلُّــوا

قطعت رقابهمْ وأسرتُ منهـم وهـمْ في لعِظــم جَمعهم استقلـوا

وأحصنت النساء بحدّ سيفـي وأعدائي لعظــم الخــوف قلُّوا[3]

وأنا المنِيَّةُ حين تشتجرُ القنا والطعــنُ منِّي سابـق الآجــال[4]

---

[1] ديوان عنترة بن شداد، ص 91.

[2] المرجع نفسه ص 93.

[3] المرجع نفسه، ص105.

[4] المرجع نفسه، ص106.

وهذه الأبيات ما هي إلاّ رسالة يحملها عنترة لقومه، يخبرهم فيها عن قوّته وشجاعته يوم الوغى واشتداد الحرب، بأنَّه هو البطل الشجاع، الذي شاع ذكره وسط الناس، فنحن نجده مندفعا لتقديس "أناه" مسخرًا كلّ قدراته من أجل الدفاع عنها‘ والافتخار بها، لغرض هام هو إثبات وجوده الفاعل وسط المعارك والحروب، حيث يتضح ذلك في قوله:(أنا الهزبر، أنا البطل، أنا المنية...)، وكلَّها أقوال دالة على تفرده بالشجاعة وحده، كما أنَّه عمد في آخر الأبيات إلى إبراز بطولته، من خلال حديثه عن مصير ونهاية كلّ من يواجهه في المعارك.

وقال أيضا في افتخاره بخوضه المعارك والإقدام فيها بكل قوة وعزم:

أنا فـي الحـرب العـوان غيـرَ مجهـولِ المكـانِ
أيْنمـا نـَادى المُنـادي فـي دُجـى النَّقع يرانـي

وحسامـي مع قناتـي لفعالِـي شاهـِـدان
أننـي أطعنُ خَصمـي وهـُوَ يقظـانُ الجنـان
أسقـه كـأس المنايـا وقراهـا منـه دانـي[1]

إني أنا عنترةُ الهجيـن فج الأتـان قـد علا الأنيـنُ
يحصد فيه الكفُّ والوتيـنُ من وقع سيفي سقط الجنين[2]

---

(1) ديوان عنترة، ص140.
(2) المرجع نفسه ص164.

لقد جمع عنترة في هذه الأبيات بين صورتين، يهدف فيهما للإشارة إلى نبرة واضحة للاعتداد والتوافق مع النفس، حيث جمع بين صورة العنف والقوة، وصورة التحدي والشجاعة، في إظهاره قوة الجسم والعقل.

والواضح هنا أنَّه لجأ إلى إبراز أناه في شعره ليدل على علو شأنه بين أفراد قومه، كما أنَّ اعتماده على الجملة الاسمية، التي مبدؤها ضمير المتكلم " أنا" ما هو إلا دليل قاطع لقوته وشجاعته وسطهم، كما أَّننا يجب أن لا ننسى ذلك الظلم الذي وقع عليه من طرفهم والذي دفعه إلى تحدي الآخرين في إبرازه لـ"أناه" والافتخار بها.

3 – الفخر بالأخلاق الكريمة:

«لقد مثَّل عنترة بن شداد معنى الرجولة العربية الكاملة، في أصدق تعاريفيها، فهو رقيق دون أن تنتهي به الرقة إلى الضعف، وهو شديد دون أن تنتهي به الشدَّة إلى العنف، وهو صاحب شراب دون أن ينتهي به السكر إلى ما يفسد الخلق والمروءة، وهو صاحب صحو دون أن ينتهي به الصحو إلى التقصير عما ينبغي للرجل الكريم من العطاء والندى، وهو مقدام إذا كانت الحرب، وهو عفيف إذا قسّمت الغنائم.» [1]

ومنطلقا من هذا فإنَّ القارئ لشعر عنترة بن شداد، حتما سيلاحظ فيه اعتزاز الشاعر "بأناه" ورفع مكانتها أمام قومه، وأمام محبوبته عبلة، حيث وصف في ذلك نفسه بسماحة

[1] حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، ص17.

الخلق، وسهولة المعاشرة، وإيباء الظلم، والكرم في السكر والصَّحو، وعفة النفس عند تقسيم الغنائم، وليس ذلك فحسب، بل إنَّه قال شعراً غزيراً، يمجّد فيه قيما إنسانية واجتماعية أقرّها المجتمع الجاهلي، ففي ضوء الحياة القاسية التي عاشها هذا الإنسان في صحرائه الواسعة، كان لزاماً عليه أن يظلَّ يقظاً حاداً في تعامله مع الحياة عامة، ليستطيع التفوق فيها على غيره ويشبع شعوره بالعزة والقوة.

وقد حاول عنترة أن يصف لنا البعض من أخلاقه الكريمة، التي يشرَّف بها العربي الكريم، وقال مخاطبا محبوبته عبلة:

أثنــي علي بمــا علمت فإنَّنــي سهل مخالقتي إذا لــم أُظلــم

وإذا ظُلمـت فـإنَّ ظلمـي باسـلٌ مرٌّ مذاقتُــهُ كطَعـمِ العَلقــمِ

ولقد شربـت من المُدامة بعدمـا ركد الهواجرُ بالمشوف المُعلمِ

فإذا شربت فإنَّنِــي مُستهلــكٌ مالــي وعرضِي وافرٌ لــم يُكملِ

وإذا صحوت فما اقصِّر عن نـدى وكما عَلِمتِ شمائلي وتكرُّمي[1]

والواضح في هذا أن شاعرنا قد جسَّد معنى الرجولة الحقيقية، التي تمثل العربي في أسمى أخلاقه، وتدفعه بذلك إلى الافتخار والاعتزاز بنفسه، وفي قوله: أثني عليَّ أيتها

[1] الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص214.

الحبيبة، بما علمت من محامدي ومناقبي، وامدحيني لهم، بما تعلمين من أخلاقي وسلوكي، فإنّي حسن المعاملة مع الناس، سهل المخالطة والمخالقة إذا لم يُهضم حقّي، ولم ينكر حظّي، وإن ظلمني ظالم أجازيه بظلم كريه شديد المرارة كطعم العلقم، تصوير لمجموعة من الخصال الإنسانية، التي تأصلت في نفسه، وأضحت تلازمه أينما حلَّ وارتحل، فهو ذو أخلاق نبيلة، طيب المعشر، كريم النفس لا يظلم أحداً.

«وفخر عنترة في هذا ما هو إلاَّ صورة صادقة لنفسه الشَّريفة، التي تَأبى القيود، وتسمو إلى العلاء، ولا تقبل الذل والصغار، والتي تُؤثر الجوع على المأكل الحسيس، ولا تخون الجار في ماله أو في عرضه.» [1]

كما أنَّه أضاف في بعض أشعاره صفة الفروسية والبطولة، ورأى أنَّهما لا يكتملان إلاَّ إذا أضيف إليهما كرم الخلق، وطيب الشمائل، وحسن السجايا، ومن أبرز أفعالها التعفف عن استلام الغنائم، وحيازتها قبل أن تقسم وتوزع بين أفراد القبيلة ويقول في ذلك:

هلَّا سألت الخيلَ يا ابنة مـالكٍ إن كنت جاهلة بمــا لم تعلمِــي

يُخبرك من شهد الوقعية أنني أغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنمِ[2]

[1] حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، ص18.

[2] محمد معروف الساعدي، ديوان عنترة، ص123.

استطاع عنترة عبر شجاعته وقوته المتألقة، ومروءته النادرة، أن يسمو بنفسه عن كل الدَّنايا والصَّغائر، ليحتل مكانا يليق بكبريائه فهو عندما يدخل الحرب، لا يحارب لغرض شخصي، أو مكسب نفعي، أو هوى مادي، وإنَّما يحارب لمبدأ إلحاق الحق، وإزهاق الباطل، وهذا مثال حقيقي على عزَّته وكرامته، وتعظيمه لنفسه، ودفاعه عن القوم والقبيلة، رغبة في مجدها وعلو شأنها، وليس طمعا في النهب والسلب، والحصول على المغانم، كما يفعل الآخرون.

كما قال أيضا في هذا الصدد:

فأرى مغانمَ لو أشاءُ حويتها فيصدُّني عنها كثير تحشُّمي[1]

ويتجلى في هذا المقطع خلاصة الخلق العربي النبيل، وخلاصة المروءة الحسنة، وعزة النفس، التي تنبض في كلّ كلمة بذروة المجد، وتأصيل شيمة الخلق الحسن. وممَّا لا شك فيه أنَّ هذا البيت ما هو إلاَّ دليل على رغبته عنترة وإرادته في أن يعيش عزيزا كريما وسط أهله، حيث ربط "أناه" بعزَّته في العفو عن المغنم يوم الحرب، والتصدي عنها لحشمته.

وأكمل عنترة طريقه في تعداد مفاخره، وتعظيم نفسه في علوٍ وعظمة، وقال مفتخرا في إكرامه للضيف وحمايته للجار:

وإني لأحمي الجار من كلِّ ذلةٍ وأفرح بالضيف المقيم وأبهج[1]

(1) محمد معروف الساعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص131.

وإني عزيـز الجار في كل موطن وأُكـرم نفسي أن يهون مَقامي[2]

ويتضح لنا في هذين البيتين تأكيد عنترة لذاتية في إكرامه للضيف، وحبه للجار، من خلال تكراره للفظة "إنّي " في كلتا البيتين لتقوية المعنى وتأكيده، فهو هنا يفخر بحمايته لجاره إذا ما هو احتاج إليه.

كما قال أيضا في فخره بشجاعته وحسن خلقه ونجدته:

وللموت خير للفتى من حياتـه إذا لـم يثب للأمـر إلّا بقائــد

إذا الريح جاءت بالجهام تشلُّــه هُذَالِيلُهُ مثـل القِلاص الطَّرائـد

وأعقـب نوء المدبريــن بغبرةٍ وقطر قليل الماء بالليل البـارد

كفى حاجة الأضياف حتى يريحها على الحـيّ منا كلُّ أروع ماجـد

تـراه بتفريــج الأمور ولفّهـا لمـا نال من معروفها غير زاهد

وليـس أخونا عـند شرٍّ يخافـه ولا عنـد خير إن رجاه بواحـد

إذا قيــل للمعضــلات أجابــه عظام اللهى منا طوال السَّواعد[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص136.

[2] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة، ص41.

يستطيع القارئ لأبيات عنترة هذه، أن يكشف عن سمو أخلاقه، في كثير من المواقف، لاسيما في علاقته مع الآخرين، حيث أنَّ أفعاله هنا جاءت مترجمة لأخلاقه، ونصرته للضعيف، ومساندته لإخوانه في القبيلة.

وليس من الغريب أن نحسَّ بشعور عنترة ونحن نقرأ شعره، بأنَّه كان يحس غلَّ العبودية يطوق عنقه، ويأمل أن يتخلص منه، وما كان يرى في ذلك سبيلا سوى الخلق الكريم، والبطولة الفذة، فسعى لها وعمل من أجلها، وكان في كلّ بطولاته هذه يقدم الدليل لقبيلته، وأهله، حتى يعترفوا به ويقتدوا ببطولاته وصفاته.

وختاما لهذا نستنتج أنَّ عنترة كان شخصا معجبا بنفسه، يحاول جاهدا إبراز ذاته، وإعلاء شأنه وسط قومه، بالترفع على من حوله في الافتخار بنفسه، في شجاعته وقوته وحسن أخلاقه.

المبحث الثاني: تجسيد الآخر في فخر عنترة ابن شداد

رأينا في بحثنا سابقا أنَّ عنترة افتخر بذاته، ونفسه، وشخصية البطل الفارس الشهم، الذي له مبادئ يسير عليها في حياته وسلوكه، وتعامله مع الناس، ونظرته للمرأة وبخاصة حبيبته، فهو دائما على ظهر حصانه الكريم، مشغول بالقتال، ومنازلة الأبطال، لغرض شريف ومبدأ نبيل، لا يحارب لغنم مادي أو هوى شخصي، يعفُّ عن المغانم ولا يأخذ منها شيئا، وهو كامل العدَّة والسلاح، وعلى أتم استعداد في أي وقت لخوض المعارك والأهوال،

لا يتصدى إلاَّ للأبطال المدججين بالسلاح، والمشهورين بالقوة والبأس، ومن ذوي المكانة الرفيعة[1].

أمَّا في افتخاره بـ"الآخر" فإنَّه تحدّث وافتخر بقومه في أفضل الأقوال، وربط نفسه بهم في عدَّة مواضع وجاء في قول محمد سعيد ملوي:«أما الرابطة القبلية عنده فكانت قوية ومتينة، وقد وفاها عنترة حقها، فجعلها وشيجة تجمع بين فئتين، كلّ منهما تحتاج إلى الأخرى، ففي المعارك، وحين تتضايق القبيلة، تستنجد بعنترة فينجدها غير متخاذل، ولا متردد، وكذلك أبناء قبيلته إذا ما هو احتاج إليهم، وناداهم يجدهم واقفون معه، لمساندته ومساعدته في أي وقت.»[2]

وإذا كان عنترة قد وصف نفسه في أكثر من موضع، في أحسن فخر، ونعتها بأجمل النعوت، مظهرا أخلاقه وكرمه، وجميل فعاله، وخصاله وبطولاته، فإنَّ الرابطة القبيلة التي سيطرت عليه، دفعته إلى أن يصف أفرادها بأحسن وصف، وأن ينعتهم بأجمل النعوت، «فجعلهم فرسانا أبطالا يفخر بهم،قد حووا كلّ الصفات الحميدة، فهم مدافعون عن الأعراض، عنيدون في الحرب، معتمدون على أنفسهم يطيلون الغزو، وهم مجتمعون يد واحدة، خبيرون بفنون الحرب، يكثرون من خوض المعارك، لا يستسلمون ولا يقبلون بالدونية

[1] علي الجندي،عيون الشعر العربي القديم، المعلقات السبع، ص324.

[2] محمد سعيد ملوي، ديوان عنترة، ص107.

وهم صابرين على الشدائد، يوثق بما عندهم من الخير والشجاعة، كرام الفعال، شجعان في القتال، أوفياء بالعهد.»[1]

لقد حاول عنترة أن يكون فردا حرا من أبناء قومه "عبس" وتمنى على هذا الأساس أن يعاملوه معاملة البطل الشجاع، ولذلك عمد إلى ذكرهم في أشعاره، وحاول رسم صورة واضحة لهم تندمج مع روح الشجاعة التي يفخر بها.

ومنطلقا من هذا حاول رسم الصورة التي لم يتسنى لغيره تجسيدها في الواقع، صورة الرجل الشجاع، المدافع عن قومه والمفاخر ببطولاتهم، ليحقق نوعا من التَّوحد معهم فيقول، حيث قال مفتخرا بهم يتوعد الملك النعمان بن منذر ملك العرب:

لا يحْمِلُ الحقْدَ من تعلوا بِهِ الرُّتبُ ولا ينالُ العلا منْ طَبْعهُ الغضبُ

ومنْ يكـن عبدَ قومٍ لا يخالــفُهم إذا جفوهُ ويسْترضِي إذا عتبُوا [2]

قد كنتُ فيما مضى أرعى جِمالَهم واليوم أحْمِي حِماهم كلمـا نُكِبُوا

لله دُرَّ بنِـــي عبسٍ لقـد نسَلُـوا منَ الأكارم ما قد تَنْسُلُ العربُ[3]

---

[1] محمد سعيد ملوي، ديوان عنترة، ص108.

[2] محمد معروف الساعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص10.

[3] نفس المرجع ص11.

ويظهر فخر عنترة في هذه الأبيات في مدحه لقومه، وعشيرته، وأولادهم ونسلهم، كما يوضح لنا أنَّهم حتى وإن كانوا لم يعترفوا به، إلاَّ أَّنه وقت وقوعهم في المصائب، يصبح حاميهم ومنجيهم من كلّ من يحاول التربُّص بهم.

ويقول أيضًا:

سَكتُّ فَغرَّ أعدائي السكُوت وظنُّوني لأَهلي قد نسيْتُ

وكيْفَ أنَام عنْ ساداتَ قومٍ أنا في فضْل نِعْمتهم رَبيْتُ

وإن دارتْ بهم خيلُ الأعادي ونادوني أجبتُ متى دعيتُ [1]

ويتحدث عنترة في هذه الأبيات مفتخرا بحبه لأهله، وقومه ويتساءل ويقول: كيف لي أن أغفل وأتجاهل قوما نعمت معهم ولهم فضل كبير علي؟ وأنا من هذا الفضل كبرت ونشأت، وعن كيف له أن يتجاهل أسياد قوم لهم فضل كبير عليه، وأنَّه حتما إذا ما دار بهم العدو سيلبي ندائهم ودعوتهم وقت الحاجة.

وما يمكن أن يلفت انتباهنا في قراءة شعر عنترة الذي له علاقة بالفخر بـ"الآخر" القبيلة أنَّ جلَّ الخصائص البطولية، تتكرر بكثرة، سواءً على مستوى المعاني، أو الصور الشعرية، وذلك انطلاقا من ذكره لمحاسنهم وأمجادهم، في معظم أشعاره، وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ مبدأ التأثّر والتأثير واضح جلي في فخرياته عامة، ويقول في قصيدة يفتخر فيها بقومه، وما

---

[1] نفس المرجع، ص25.

حقَّقوه من نصر، مطالبًا من عبلة أن تسأل عن مدى قوتهم وشجاعتهم في الإقدام في الحروب والمهالك:

سَلي عنــا الفزاريّين لمّــا شَفَيْنــا من فوارِسِهــا الكَبُـودا

وخلَّيْنــا نساءَهــم حَيــارى قُبَيْـل الُّصبْحِ يلْطِمْن الخُــدودا

مَلأنا سائِرَ الأقطار خوفًــا فأَضْحــى العَالمُـون لنا عَبيدا

وجَاوزْنَا الثُّريَا في عُلاهــا ولــم نَتْرُكْ لقاصِدنَــا وُفــودا

إذا بَلَغ الفِطــامَ لنــا صبيٌّ تُخــرُّ لــــه أعادينــا سُجُــودا

فمنْ يقْصِـد بِداهية إلينــا يـــــرى مــنا جَبَابِـرةً أُسُــودا

ويوْمَ البذْلِ نُعْطِي ما مَلَكْنــا ونملا الأرضَ إحسانًا وجُــودا

ونُنْعِـل خَيْلَنا في كُلِّ حربٍ عِظامًا دامياتٍ أو جلــودا

فهلْ مَنْ يُبْلَـغ النُّعمان عنــا مَقــالا سَوْف يَبْلغُـه رشيـدا

اذاعَادتْ بنُو الأعْجام تَهْوى وقد ولَّت ونكَّسَت البُنودا[1]

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص45و46.

لقد تفنَّن عنترة في هذه الأبيات وبرع في رسم صورة "الآخر" المتمثلة في شجاعة قومه، وإنتاج صورة شعرية مرعبة لهم، كما تفنَّن في انتقاء الأوصاف التي تجعلهم فرسانا، يتميزون عن غيرهم من الأقوام شجاعة وقوة وجودة وإحسانا.

وقال في حرب كانت بين عامر وعبس يذكر فيها شجاعتهم، ويفتخر فيها بقوتهم في قتل زهير بن جذيمة:

إذا نحـنُ حالفْنـا شِفـارَ البَواتِـر وسُمْـرَ القنَـا الجيـادِ الضَّوامِـرِ

على حَـربِ قـومٍ كان فينا كِفايـةً ولـوأنهـمُ مثـلُ البِحار الزَّواخـر

وما الفَخْر في جميع الجيوشِ وإنمـا فخَـارُ الفتى تفريقُ جَمعِ العساكـر

وما راعَ قَوْمي غير قولِ ابن ظالـمٍ وكـان خبيثًـا قَوْلـهُ قول ماكـر

بَغى وادَّعى أنْ ليسَ في الأرضِ مثلهُ فلمـا التقيْنـا بأنَ فَخرُ المُفاخـر

أحبُّ بني عبسٍ ولوهَدروا دمـي مَحبَّة عَبْدٍ صادِق القول صابـر

وأدنُوا إذا ما أبعدُونـي وألتَقـي رِماح العذا عنهم وحرّ الهواجـر

تولـى زهيـر والمَقانِبُ حولـه قتيلًا وأطرافُ الرِّماح الشَّواجـر

فوا أسفـا كيـف أشْتَفي قلبُ خالـد بتاجِ بني عبس كِرامَ العشائر[1]

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص68.

وما يمكن أن نلحظه في فخر عنترة بقومه في هذه الأبيات أنَّه نابع من عمق قلبه، وصادر من صدق إحساسه، تمثَّل في قوله: "أحبُّ بني عبس ولو هدروا دمي" فهذا دليل قاطع على صدق حبه لهم، واندفاعه إلى الإعلاء بهم، ورفع مكانتهم سواء بقوته أو بكلمته.

كما قال في فخر مجلجل بروح الجماعة يوغل فيه قوة الانتماء بالآخر والامتزاج به، في قصيدته التي تحدَّث فيها عن معركة يوم عراعر يفخر فيها بقوة قبيلته:

ألا هَلْ أتاها أنَّ يـوم عُراعـر شفَى سقمًا لوكانتِ النَّفْسُ تَشْتفِي

فَجِئنا على عمْيَاء ما جَمَعُوا لنا بأرعـنَ لا خَــلَّ ولا مُتكَشَّــفِ

فضلنا نَكــرُّ المَشْرفيَّة فِيهُـم وخُرْصان لدنْ السَّمْهريِّ المُثقَّف

عُلالُتنا في كــلِّ يوم كـريهةٍ بأسيَفِنا والقَـرحْ لـم يتقــرَّف

أبينَا فلا نُعطي السَّواء عدُونـا قِيامًـا بأعْضادِ السّـراء المعطّف

بكـلِّ هتوفٍ عُجسهـا رَضْويَّة وسهــمٍ كسيْر الحِمَيْريِّ الموْنـف

فإنْ يكُ عزٌّ في قُضاعةَ ثابــتٌ فــإن لنـــا برَحْـرَان وأسْقُــفِ

كتائِبَ شُهُبًا فوق كلِّ كتيبــةٍ لِواءٌ كظِـل الطائــر المتَصــرف

وغَادَرْنَ مسعودًا كـأنَّ بنحرِهِ شُقَيْقة بُـردٍ من يمـانٍ مُفــوف[1]

وقال:

فدونكـم يـا آل عبس قصيدةً يلوح لـها ضوءٌ من الصُّبح أبلـج

ألا إنَّهـا خير القصائد كلّــها يفضّل منها كـلّ ثوب وينسـج[2]

للهِ دَرُّ بنــي عبـس لقد بلغُوا كلَّ الفخار ونالوا غاية الشَّرف[3]

أحِبُّ بني عبس ولو هدُروا دمي لأجلك يا بِنْتَ السَّراةِ الأكارِم[4]

ويقول مفتخرا بمساندة قومه له وقت الشدة، وفي احتدام المعارك، وتعثر الخيل، فحين يصبح الأمر حرجًا ينادي عنترة قبيلته عبس، فتستجيب له وتقبل على صوتة، لتدافع عن نفسها وتحمي دمارها، وترفع العار عنها، وقد ظهر هذا التعاون بين عبس وعنترة في عدة مواضع، وأصدق مثال شعري جسَّد فيه فخره بهذه الروح التعاونية هو فخره بقبيلته بعد معركة جرت مع بني تميم فقال:

لمَّا سمِعتُ دُعـاءَ مُرّة إذ دَعَـا ودُعاءُ عبسٍ في الوَغَى ومُحلَّل

ناديْتُ عبْسًا فاستجابـوا بالقَنـا وبكـل أبيـضَ صارمٍ لــم يَنْجَل

---

(1) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص85و86.

(2) المرجع نفسه، ص31

(3) المرجع نفسه، ص88.

(4) المرجع نفسه، ص134.

حتى استباحُوا آل عَوْفٍ عَنْوة بالمشْرَفيِّ وبالوَشيج الذُّبّل

إني امْرؤٌ من خير عبس مَنْصِباً شطْري وأحمي سائري بالمُنْصل

إن يُلْحقوا أكرُرْ وإن يُسْتَلْحمُوا أشْدُدْ وإن يُلفَوا بضنْكٍ أنْزِل

حين النزولِ يكون غايةَ مِثْلنا ويَفِرُّ كلُّ مُظَلّل مُستَوْهِل(1)

فيهم أخُوثِقةٍ يُضارِبُ نازلاً بالمشْرفيّ وفارسٌ لم يَنْزل

ورماحُنا تكِفُ النَّجيعَ صُدُورُها وسُيُوفنا تَخْلي الرِّقابَ فَتخْتَلي

والْهامُ تندُرُ بالصَّعيد كأنما تُلقي السُّيوفُ بها الرقَّبَ فتخْتلي(2)

وكما قلنا سابقا إنَّ الرابطة القبلية التي سيطرت على شاعرنا عنترة دفعته إلى أن يصف أفرادها في أحسن وصف وأن ينعتهم بأجمل النُّعوت حيث يظهر ذلك بوضوح في قوله:

منْ مثل قومي حين يَخْتلفُ القَنا وإذا تزِلُّ قوائم الأبطال

يحْمِلْنَ كلّ عزِيز نفْسٍ باسل صَدْق اللِّقاء مُجرّب الأهوال

ففدى لِقوْمي عنْد كلِّ عظيمةٍ نفْسي وراحلتي وسائر مالي

قوْمي صَمامٍ لمن أرادوا ضَيَمَهم والقاهرون لكلِّ أغلبَ صَالي

(1) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص98.

(2) المرجع نفسه، ص100.

نحن الحصى عددا ونَحْسَبُ قومنَا ورجالَنا في الحَرْبِ غيرَ رجال

مِنا المُعينُ على النَّدى بفعالِــه والبذْلِ في اللّزبات بالأموال

إنا إذا حمِس الوغَى نُرْوِي القنا ونعفُّ عند تقَاسُــمِ الأنفــال

نأتـي الصَّريخَ على جيادٍ ضُمّـرٍ خُمْصِ البُطونِ كأنهن سَعالــي

وإذا الأمورُ تحوَّلـتْ ألفيتَهــم عِصَمَ الهوالك ساعةَ الزِّلــزال

وهم الحُماة إذا النساءُ تحسَّرتْ يومَ الحِفَّاظ وكان يـوم نـزال

والمطعمون إذا السُّنون تتابعت محلاً وضنَّ سحابُها بسِجال [1]

والواضح في هذا أنَّ فخره هنا ليس فرديا يسعى فيه لإعلاء ذاته فحسب، بل جاء بصيغة "النحن" الجماعية التي يهدف فيها للإعلان عن قوة قومه، وشجاعة قبيلته، حيث جمع فيهم كلّ القيم العربية الأصيلة، التي كانت موضع اعتزاز العرب في ذلك الوقت.

وفي موضع آخر تحدث عن فرسان قبيلته بعد معركتها مع بني جديلة وبني شيبان يفتخر بقوتهم وشجاعتهم في خوض المعارك وصلابتهم عند الشدائد، وشرفهم وعزتهم في الحروب فيقول:

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد،ص 106-107.

وفوارس لـي قـد علمتُهُم صبرُ على التَّكــرار والكَلْـم

يمشون والماذِيُّ فوْقهــم يتوقَّدُون تَوقُّـد الفحــم

كم من فتىً فيهمْ أخِي ثِقةٍ حُـرٍّ أغــرّ كغرَّةِ الرِّئــم

ليسـوا كأقـوام علمتهـم سود الوجوه كمعدن البـرم

عجلـت بنو شيبان مدّتهم والبقـع أستاهـا بنــو لأم

كُنَّـا إذا نَفَــر المَطِيّ بنـا وبَدا لنا أحواضُ ذي الرَّضْـم

نُعْدي فَنطْعنُ في أُنوفهــم نختارُ بيــن القَتْــل والغُنَــم

إنا كذلــك يــا سُهــيَّ إذا غَدرَ الحليفُ نَقُــودُ بالخَطْم

وبكُـلِّ مرهفــةٍ لهـا نَفذَّ بين الضُّلوع كطُرَّةِ الفَـدم[1]

إذا خطرتْ عبسٌ ورائي بالقَنــا علوتُ بها بيتًا منَ المَجْد مُعلــم

إذا مَا ابْتدرنا النَّهب من بعد غارةٍ أثرْنا غُباراً بالسَّنابــك أقتمَــا

ألا ربَّ يوم قـد أنخْنا بدارِهــم أُقيمُ بهمْ سيفي ورُمْحي المقوَّما

ومــا هزَّ قــومٌ رايةً للقائِنــا من الناس إلا دارُهُم مُلِئَت دمــا

وإنا أبدْنــا جمعهم برماحِنــا وإنا ضربْنــا كبْشهم فتحطَّمــا

بكـلِّ رقيقِ الشَّفْرتيــنِ مُهنــدٍ حُسامٍ إذا لاقى الضريبة صممــا

يُفلّق هــام الذارعيــن ذبابُــهٌ ويَفري من الأبطال كفًا ومِعْصمَا [1]

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص128.

وقال في افتخاره بقومه في حرب كانت بينهم وبين العجم يطلب من عبلة أن تسأل عن مدى قوتهم وشجاعتهم في غلبتهم العدو بكلّ شجاعة وقوة:

سَلي يـا عبلـة الجبلين عنَّـا ومـا لاقَتْ بنُو الأعاجـم منَّـا

أبدْنـا جمعهـم لمـا أتوْنـا تموجُ مواكِـبٌ إنسـاً وجنَّـا

ورامُوا أكلنـا من غير جُوع فأشْبعناهـم ضَرْبـاً وطعنـا

ضربناهـم ببيضٍ مُرْهفـات تقدُّ جُسومَهُمْ ظهْـراً وبطنا

وفرَّقنا المواكب عن نسـاءٍ يزِدْنَ على نساءِ الأرضِ حُسْنا[2]

ونحن العادلون إذا حكمنـا ونحن المُشْفقُون على الرعيه

ونحن المنصفون إذا دُعينـا إلى طعن الرماح السَّمهريَّـهْ

ونحن الغالبـون إذا حمَلْنـا على الخيل الجياد الأعوَجيـهْ

ونحن الموقدون لكـل حَرْب ونصـــــــلاها بأفئدةِ جريَّـه

مَلأْنا الأرض خوفًا من سَطَانا وهابَتْنا المُلوك الكسْرويَّــه[3]

لقد امتزجت ذات الشاعر في هذه الأبيات مع "الآخر" امتزاجًا مطلقا، لا يبدو معه أن ثمة ذاتين، فهما ذات واحدة يفتخر بها عنترة، وتنمحي فيها صورة "الأنا" وتذوب في "الآخر" الجماعة، وما هو واضح من خلال فخره القبلي هذا، هو استخدامه المتكرر لضمائر الجمع

---

(1) ديوان عنترة بن شداد، ص 137-138.

(2) المرجع نفسه، ص145.

(3) - محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص 156.

(نحن وهم) يهدف فيها إلى تأكيد فكرة القوة والشجاعة، كما أنَّ موقف شاعرنا من الوقوف مع قبيلته، ومساعدتهم وحمايتهم، كلّه مشهد جماعي يفخر فيه بقوة قبيلته وشجاعة قومه تلك القوة التي تردع العدو وتحقق النصر في كلّ الحروب.

والواضح في هذا أنَّ فخره هنا ليس فرديا يسعى فيه لإعلاء ذاته فحسب، بل جاء بصيغة "النحن" التي يهدف فيها للتَّأكيد عن قوة قومه وشجاعة قبيلته.

الافتخار بالنَّسب:

" إن الإنسان العربي قد تتآلف لديه عصبية الأب والأعمام مع عصبية الأم والأخوال مما يجعله يعتد بذلك أيَّما اعتداد.وإذا كانت قبيلتا الأب والأم تتصفان بالشرف والسؤدد فإنَّه يبلغ الذروة في السيادة والنبل، وينظر إليه المجتمع نظرة مميزة، فيها كثير من الإكبار والاحترام، وينعت بأنه مُعِمٌّ مُخْولٌ، لأنَّ السائد عند العرب أنَّ الفرد لابدَّ أن ينزع في أخلاقه وطباعه إلى أعمامه وأخواله، وقد عبروا عن ذلك في قولهم: ((عرقٌ فيه أعمامه وأخواله))."

وانطلاقا من هذا، لم يكتفي عنترة بن شداد بتصوير شجاعة قومه وافتخاره بهم فقط، بل راح يفتخر بنسبه وانتمائه إليهم، وكان هدفه في ذلك تعويض حالة النقص التي يعيشها، فقال مفتخرا بنسبه في عدَّة مواضع منها:

إني امْرؤٌ من خير عبْسٍ مَنْصِباً شطري وأحْمِي سائِري بالمُنْصلِ

وإذا الكتيبةُ أحْجَمَتْ وتلاحَظتْ أُلْفِيْتُ خيراً منْ مُعـمٍّ مُخْـــول[1]

وعنترة في هذه الأبيات يفخر بنصفه الأبوي الكريم ولا يقلّل من شأن نصفه لأخواله وأمه، حيث يرى في ذلك بأنَّ اختلاطه في النسب، ما هو إلاَّ دافع قوي يكسبه الشجاعة والقوة في خوض الشدائد، ويرى بأنَّ لا أحد سواه يتمتع بهده الصفة ويحاول التَّأكيد في أنَّ نسبه من أبيه كافٍ لمنحه السيادة والحصانة وسط قومه، ولا يضر في ذلك من نسبه لأخواله.

إذ لا يخلو ديوانه من ذكر نسبته إلى أمه وأبيه وأخواله، فهو يفخر بهم فضلا عن فخره بشجاعته وشيمه، ولا يجد غضاضة في إعلان انتسابه إلى العرق الأسود، وكأنَّه بهذا يردُّ على مفاهيم العصبية والعرقية، اللَّتان كانتا سائدتين في مجتمعه القبلي أنا ذاك، ويقول في ذلك:

وأنا المجرّبُ في المواقف كلّه من آلِ عبسٍ منْصبـي وفعالـي

منهـم أبي شـدَّادُ أكرمُ والــدٍ والأُمُّ من حامٍ فهُمْ أخْوالــي [2]

ويقول في افتخاره بأخواله بنوا حام:

وإن عابت سَوادي فهوفَخْري لأنـي فارسٌ من نَسـل حَـامِ[1]

---

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص 98.

[2] –عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص103.

ولعلَّ الأمر الذي دفع عنترة إلى إبراز صورة الأخوال والفخر بهم، يعود إلى برّه بأمه، وافتخاره بها، واعْتزازِه بحبِّه لها، حيث راح يواجه الجميع ويتحداهم في مواقفهم وأرائهم تجاهها، لا يشترك معهم في تحميلها ذنبًا لم تقترفه، في أنَّها كانت من بني حام، وليس جرمها في أن تحمل الدم الأسود في عروقها، وقد حاول في هذا الأمر التَّغلب على هذه الفكرة، وإعادة الاعتبار لها والرَّفع من شأنها ومكانتها، ومن أجمل أقواله في افتخاره بها قوله:

وأنا ابنُ سوداءِ الجبين كأنــه ضَبُعٌ ترَعْرِع في رُسُوم المنزل

الساقٌ منها مِثْلُ ساقِ نعامــةٍ والشعر منها مثلُ حبِّ الفُلْفُـل

والثَّغر من تحت اللِّثام كأنَّــه برْقٌ تلألأَ في الظلام المُســدَل[2]

حيث عبَّر عنترة في هذه الأبيات بصدق وحب عن شعوره لأمه، يناقض فيها الصفات الجمالية التي اتفق عليها قومه، ويخالفهم في نظراتهم إلى جمالها، فهو يرى أنَّ أمه لا ينقصها الجمال والحسن والبهاء، وليس للَّون علاقة بقبولها أو عدمها في المجتمع، وليس كافيا أن يكون اللَّون ميزاناً للحكم على المرء، فهو يمجد صفات أمه ويفخر بها في أبهى الصور ويرى بأنَّه لا فرق بينها وبين المرأة البيضاء.

---

(1) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص 138.

(2) محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، ص 111.

الافتخار بالسلاح:

لقد عبَّر عنترة بن شداد عن شجاعته وبطولته في أجمل الأقوال، وصاغها في أروع التعابير و الأشعار، التي تعلي من شأنه، وترفع من مكانته وسط قومه، وتعددت في ذلك الطرق والأقوال التي افتخر بها وعبر بها عن هذه القوة، حيث فخر بنفسه وذاته وشجاعته، وشجاعة قومه، وربطها بنسبه لأبيه ونسبه لأخواله. كما يمكن أن نلاحظ صنفا آخر من افتخاره، ولا نتفا جئ في ذلك إذا اكتشفنا أنَّه ينسب نفسه إلى دنيا الحرب والحماسة، وعالم السلاح والقوة، الذي يرى فيه بأنَّ السَّيف والرمح والفرس هم أهله وأصدقائه المقربين، الذين لا يتخلون عنه وقت الشدة والحاجة. ولعل السبب الرئيسي في ذلك يعود لاهتمامه وحرصه الشديد على هذه الأدوات، لكثرة استخدامه لها في مدافعته عن نفسه ضدّ أعدائه.

ويظهر فخره بوضوح في قوله:

دعوني أُفِّي السيف في الحرب حقَّه وأشرب من كأس المنيَّة صافيــا

ومن قــال إني سيِّدٌ وابن سيِّــدٍ فسيفي وهذا الرُّمحُ عمي وخاليا[1]

وقال في موضع آخر يفخر بصداقته الحقيقية مع سيفه ورمحه:

سلي سيفي ورمحي عن قتالــي هما في الحرب كان لي رفاقا[1]

[1] محمد معروف السَّاعدي، ديوان عنترة بن شداد،ص 160.

وقال أيضا:

سَيْفي أنيسي ورُمحي كلما نَهِمَتْ أسد الدَّحالِ إليها مالَ جانِبُه[2]

وسيفي مُرْهفُ الحدَّيْن ماضٍ تَقُدُّ شِفَارُه الصَّخْر الجمادا

ورُمْحي ما طَعَنْتُ به طَعِينًا فعادَ بعْينيِه نَظَرَ الرِّشادا

ولولا صارمي وسِنانُ رُمْحي لما رَفَعْت بنوعبسٍ عِمادا[3]

وقال في موضع آخر:

وسيْفي صارمٌ قبضتْ عليه أشاجعُ لا ترى فيها انْتشارا[4]

وسيفي كالعقيقة وهو كِمعْي سلاحي لا أفلَّ ولا فطارا[5]

ورُمحِي إذا ما اهْتزَّ يوم كريهةٍ تُخرُّ له كل الأُسُود القناعسِ [6]

ورُمحِي السَّمْهريُّ له سِنانٌ يلوح كمثْل نار في يفاع

وسيفِي كان في الهيْجَا طيباً يُداوي رأس من يشْكُو الصُّداعا[1]

---

(1) المرجع نفسه، ص94.

(2) المرجع نفسه، ص 10

(3) المرجع نفسه، ص47.

(4) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،1416هـ-1995م، ص69.

(5) نفس المرجع ص 62.

(6) نفس المرجع ص 76.

وفي قوله سيفي صارم أي قاطع، لا ترى فيه انتشارا، وقوله سيفي كالعقيقة أي صاف براق كالقطعة من البرق، وهي العقيقة، ويقال العقيقة السحابة التي تنشق عن البرق، والكمع الضجيج الصادر منها.[2]

إنَّ جلَّ ما يتضح لنا من خلال هذه الأشعار ببساطة هو أنَّ " الأنا" دومًا بحاجة "للآخر" من أجل مساندتها، وما يمكن أن نراه في أبيات عنترة هنا هو أنَّ "الآخر" الذي يفخر به في وقت الشدة هو سيفه ورمحه، فكلَّما كان في أمس الحاجة وجدهم أمامه، حين يفزع من شيء، أو يسعى لتأكيد شيئا آخر، أوفي خوض الحرب، أو تأكيد البطولة.

(1) نفس المرجع ص82 -84.

(2) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة ص 69.

خاتمة

خاتمة:

وقد توصّلنا خلال هذا البحث الذي جاء بعنوان "الأنا" و"الآخر" في شعر الفخر لدى عنترة بن شداد، إلى بعض النتائج، نُجْمِلُهَا فيما يلي:

إذا حاولنا تتبع المفهوم العام لمصطلح "الأنا" و"الآخر"، سنجد بأنّ العرب فيما بينهم اختلفوا في تعريفات هذين المصطلحين بمعاني متفاوتة، وذلك بحسب دواعي الاستخدام الذي يتطلبه كل واحد منهما، وما يمكن أن نلاحظه في ذلك بأنَّ هناك تلازما بين مفهوم "الأنا"، ومفهوم هذا "الآخر"، وأنَّ استخدام أيٍّ منهما يستدعي تلقائيا حضور الآخر، أما الغاية من دراسة العلاقة القائمة بين هذين المصطلحين فليست وصفا لـ"الأنا" وحده أو لـ"الآخر" وحده، بل قراءة لـ"الأنا" في مرآة "الآخر"، أو انعكاس لـ"الآخر" داخل هذا "الأنا".

اشتهر العرب بالفخر منذ الجاهلية وغالوا فيه، واتَّخذوه مُتنفَّسًا لهم في تعداد فضائلهم، والإبانة عمَّا تميزوا به من رفعة وقوة عن الآخرين.

لقد شكل الفخر غرضا هاما في ديوان عنترة، مثّل المساحة الأكبر، والأوسع فيه، وتفوّق على موضوعات الشعر الأخرى عنده، حيث وجد الشاعر في نفسه القوة والكفاءة والخصال الكريمة، التي يحقُّ له الافتخار بها، وبذلك برزت في فخره ظاهرتان: الظاهرة الأولى، هي الاعتزاز بالنفس، فليس هناك من قصيدة له إلاَّ وتحدث

فيها عن نفسه، ووصف فيها مغامراته بطولاته، وهي الصفة التي تطبع شعره على أنه شعر غنائي في أكثر أقسامه، يُعْنَى بالذات وتسجيل الأحداث الكثيرة التي عاشتها، فنجده في كثير من الأحيان يحدثنا في أكثر من موضع عن لقائه بالأبطال والأقران، وكيف أنه استطاع التغلب والفوز عليهم، ومن جراء هذا الإحساس تفجّرت قريحته ضد قومه، فأنشد قصائد، ومقطوعات يفخر فيها بلونه وشجاعته وأخلاقه.

أما الظاهرة الثانية فتتمثل في افتخاره بـ"الآخر" والإشادة به، من خلال تعظيمه لشأن قومه وقبيلته، فعلى الرغم من كلّ الشقاء، والحرمان الذي عاشه وسطهم إلاّ أنه لم يحمل صفة الكره لهم على الإطلاق، بل لم يقف مكتوف الأيدي كلما احتاجوا إليه، وراح يلبي نداءهم متى نادوه ليقاتل، ويدافع عن أعراضهم وأملاكهم ويفخر بشجاعتهم وقوتهم.

على هذا النحو تكتمل الصورة الخلقية الواضحة لعنترة بن شداد، وتتضح معالمها جميعا؛ فهو يستحقّ لقب الفارس المجيد بجدارة، لا ينازعه فيه منازع، ولا ينافسه عليه خصم، وأشعاره في حرب داحس والغبراء تدلّ على ذلك، خاصة وأنّها كانت الميدان الفسيح الذي بانت فيه فروسيته وشجاعته وبطولته.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

المعاجم:

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة و النشر، تركيا.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1و2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 2، 1982.

4- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1.

5- أبي حسن أحمد ابن فارس، بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.

6ـ محمد التنوجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1419 هـ- 1999م.

7- مراد و هبة، المعجم الفلسفي، الناشر: دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م.

المراجع و الكتب المترجمة:

* أحمد عبد الحليم عطية، جدل الأنا و الآخر(قراءة في فكر حسين حنيفي جدل الأنا و الآخر)، الناشر: مكتبة مدبولي الصغير، ط1، 2007م.

* أبي عبادة البحتري، الحماسة، تحقيق: د. محمد إبراهيم حور أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 1428هـ ـ 2007م.

* بول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة بيروت، ط1، نوفمبر 2005.

* بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار نظير عبود، دار الجبل، بيروت. مدبولي الصغير، القاهرة ، ط،1997.

* بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، رؤية نقدية معاصرة، من منشورات اتحاد العرب، دمشق، 2001.

* ديزيره سقال، العرب في العصر الجاهلي، دار الصداقة العربية، بيروت، ط1995،1

* السيد عمر، الأنا و الآخر من منظور قرآني، تحرير: منى أبو الفضل و نادية محمود مصطفى، دار الفكر، دمشق،1958م.

* سيجمند فرويد، "الأنا و الهوا"، إشراف: د.محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت.

* حنا الفاخوري، الفخر و الحماسة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1119.

* ديوان حاتم الطائي، دار صادر بيروت،1401 هـ ـ 1971م.

* الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة بن شداد، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1416هـ 1995م.

* الزوزني، شرح المعلقات السبع، تحقيق عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ ـ 2004م.

* سراج الدين محمد، الفخر في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.

* شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف، ط20.

* صلاح صالح، سرد الأنا و الآخر عبر اللغة السردية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1.

* الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا إليه و منظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية لعلم الاجتماع، بيروت، 1999م.

*محمود حسين أبو ناجي، الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية،ط1، سنة2007.

* علي الجندي، عيون الشعر العربي القديم، المعلقات السبع، الجزء الأول، دار غريب للطباعة والنشر، سنة2000.

* الغني أحمد زيتوني، الإنسان في الشعر الجاهلي، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط1، 1421هـ - 2001م. و النشر،2000 .

* عبده بدوي، الشعراء السود و خصائصهم في الشعر العربي، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع (القاهرة)،2001.

* فاروق أحمد سليم، الانتماء في الشعر الجاهلي، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، 1998.

*محمد النويهي، الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمه، الدار التقويمية للطباعة و النشر، القاهرة، ج1.

* أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر و الشعراء، تحقيق:الشيخ حسن تميم، دار حياء العلوم، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ - 1987م ص153

* محمد معروف السّاعدي، ديوان عنترة بن شداد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط4، سنة2009.

* يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي (خصائصه و فنونه)،ط5، 1407هـ - 2001م.

* يحيى الشامي، أروع ما قيل في الفخر، دار الفكر العربي، بيروت.

المجلات:

* عبد الله بن محمد الطاهر تريسي، ثنائية(الأنا) و(الآخر) الصعاليك والمجتمع الجاهلي، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد82.

مكي سعد الله، الآخر جدلية المرجعية والخصوصية الثقافية، بحث عام قسم الفلسفة والعلوم الإنسانة، 03 يناير 2019.

علي مصطفى العشا،جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي،مجلة مجمع اللغة العربية،بدمشق،الجزء3،المجلد82.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الشكر.

الإهداء

مقدمة..... 01

الفصل الأول: تجليات الأنا والآخر في الشعر العربي 05

المبحث الأول: مفهوم الأنا والآخر 05

أولا: مفهوم الأنا 06

1-المفهوم اللغوي للأنا 06

2- المفهوم الاصطلاحي للانا 08

2-1-الأنا من المنظور النفسي 09

2-2-الأنا من المنظور الفلسفي 10

2-3-الأنا من المنظور الاجتماعي 13

2-4-الأنا من المنظور القرآني 14

ثانيا: مفهوم الآخر 15

1-المفهوم اللغوي للآخر 16

المفهوم الاصطلاحي للآخر.....17
2-1- الآخر من المنظور النفسي 19
2-2- الآخر من المنظور الفلسفي..... 21
2-3-الآخر من المنظور الاجتماعي 22
2-4- الآخر من المنظور القرآني 24
ثالثا: العلاقة بين الأنا و الآخر 25
المبحث الثاني: الفخر في الشعر العربي 30
أولا: ماهية الفخر و تعريفه.....31
ثانيا: تطور الفخر من العصر الجاهلي إلى الإسلامي.....32
1-شعر الفخر في العصر الجاهلي 32
2-شعر الفخر في العصر الإسلامي.....37
ثالثا: أقسام الفخر واتجاهاته.....41
1-الفخر الذاتي 42
1-1-الكرم 44
1-2-الشجاعة..... 50
1-3-الوفاء..... 55
2-الفخر الجماعي 57
2-1-الافتخار بالنسب 58

2-2-الافتخار بقوة القبيلة 60
الفصل الثاني: صور الأنا والآخر في فخريات عنترة 65
نبذة عن شاعرنا عنترة 67
المبحث الأول: الفخر ب"الأنا" و تعظيمها 71
1-1-الافتخار باللون الأسود 71
1-2-الأنا الشجاعة 77
1-3-الفخر بالأخلاق الكريمة 87
المبحث الثاني: تجسيد الآخر في فخر عنترة بن شداد 92
2-2 الافتخار بالنسب 104
2-3-الافتخار بالسلاح..... 107
خاتمة..... 111
قائمة المصادر والمراجع 114
فهرس الموضوعات 119

الملخص:

تعدُّ إشكالية "**الأنا**" و"**الآخر**" من أهمِّ الإشكاليات التي فرضت نفسها على الساحة الأدبية **قديما** و**حديثا**، مشكلةً بذلك ظاهرة نابعة من المجتمع نفسه تعبّر عن كلّ حالاته، وما يثير الجدل في ذلك هو أن هذا الإنتاج الأدبي سواء كان شعرا أو نثرا فإنه يتضمن تداخلا بين **الذات** و**الآخر**، وبحكم هذا التداخل توصلنا إلى أنَّ للشعر العربي القديم عامة **وشعر عنترة بن شداد** خاصة ميزة أساسية تأخذ دورها في تحقيق هذا الترابط إيمانا بوجود علاقة جدلية بينهما تختار مسلكا عميقا في البحث عن **أنا الشاعر** وتعني بذلك علاقته **بالآخر** وارتباطه بها، وعلى هذا الأساس صوَّر لنا هذا الشاعر بطولته وشجاعته في أبهى الصور، وأجمل أقوال، والتي كان **الفخر** والاعتزاز من أسماها فعلاً، وأنبلها معنا، لما حمله من أبعاد روحية وإنسانية ومعاني كريمة وصادقة وإحساسٍ عالٍ.

الكلمات المفتاحية: الأنا،الآخر،عنترة بن شداد،شعر الفخر.